الإسلام والإنسان

دكتور
محمد عبد المنعم خفاجى

الطبعة الأولى
٢٠٠٤م

الناشر
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس: ٥٣٥٤٤٣٨ - الإسكندرية

الإسلام والإنسان

الناشـــــر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

العنـــــوان: بلوك ٣ ش ملك حفنـى قبلـى السـكة الحديـد - مسـاكن دربالـه - فيكتوريا - الإسكندرية.

تليفـــــاكس: ٥٢٧٤٤٣٨/ ٠٠٢٠٣ (٢ خط) - موبايل/ ٠١٠١٢٩٣٢٣٣

الرقم البريدى: ٢١٤١١ - الإسكندرية - جمهورية مصر العربية.

E- mail

dwdpress @ yahoo.com
dwdpress @ piznas.com

Website

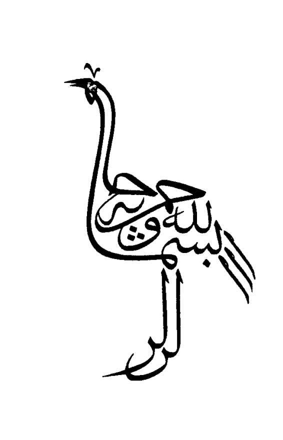
http:/ www.dwdpress.com

عنوان الكتاب: الإسلام والإنسان

المؤلـــــف: محمد عبد المنعم خفاجى

رقـم الإيـداع: ٩٢٣٨/ ٢٠٠٣

الترقيم الدولى: 1 - 360 - 327 - 977



تصـــــديـــر

- ١ -

الإنسان فى الإسلام له كيانه، وله شخصيته، وله ذاتيته، ولـــــه كــل الحقوق والخصوصيات التى أعطاها له الإسلام، حفاظا على كيانه الإنســانى البشرى.

والإنسان ورد فى القرآن الكريم فى أكثر من مائتى موضع. وذكـــر فى جملة (يا أيها الناس) نحوا من مائتى مرة فى خطاب من الله عز وجل.

لقد أعطاه الإسلام كل حقوقه المشروعة ومنحه الكرامة "ولقد كرمنــا بنى آدم فى البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممـــن خلقنا تفضيلا" - الإسراء -.

سخر له ما فى السموات والأرض وجعله خليفة لــــه فـــى الأرض، أعطاه العقل ليدبر به أمور الحياة.

أمره بالسعى فى الأرض، كما أمره بعمارتها. فرض له من ماديـــات الحياة ما يعينه ويغنيه، جعلها له حقا معلوما فى أموال القادرين، فرض علـــى المجتمع حقه فى التكافل الاجتماعى وفى ظلال الإسلام كان يفتش عنى الفقير ليأخذ الزكاة فلا يجدونه.

- ٢ -

الإنسان فى الإسلام هو نقطة البدء ونقطة الختام.

هو أولا وأخيرا وقبل كل شيء نفسه، عرضه، ماله، أسرته، حقوقه، كرامته، كلها وضعت فى مبادئ الإسلام فى مقام الاعتبار الأول.

ويروى أن جعفر الصادق رضى الله عنه كان له صديق لا يفارقــه، فسمعه يوما يسب رجلا هندوسيا وثنيا بأمه، فغضب الإمام جعفـــر غضبـــا

شديدا من هذا الصديق، وقال له: أتسبه بأمه فرد الصديق: إنه وثنى مشـوك، فقال جعفر الصادق رضى الله عنه فى غضب شديد: أتسب أخـا لـك فـى الإنسانية وقطع من يومئذ ما كان بينهما من صداقة.

هذه هى عظمة الإسلام كرامة الإنسان المسلم بل وكرامة غير المسلم على السواء .. المحافظة عليها أمر مفروض وحكم واجب، لا تفريـط فـى كرامة أى إنسان.

-٣-

إن المجتمع فى الإسلام قوة متماسكة، ووحدة متكاملـة متعاونـة ـ وأساسه الإنسان، الإنسان المتفائل المبتسم الفرح والمرح والساعى الـدؤوب فى سبيل إسعاد نفسه وإسعاد الناس.

واليوم فى مجتمعنا المعاصر يعيش الإنسان فى كآبة وحزن مقيـم لا يجد الصديق الذى يشاركه أفراحه وأحزانه، ولا يجد العون من أحد، ولا يجد التعاون والألفة والمحبة التى كان يجدها بالأمس يعيش اليوم وسط مجتمعـه فى كفاح شديد مستمر.

كفاح من أجل العيش وتأمين حياته كفاح من أجل الفوز فـى سـباق الحياة كفاح من أجل أخذ حقوقه كإنسان فى مجتمع يأكل القـوى فيـه حـق الضعيف.

كفاح من أجل استثمار مواهبه فى خدمة نفسه وأسـرته ومجتمعـه ووحدته.

ومن ثَمَّ فإن على الإنسان مسئولية كبيرة فى كل جوانب الحياة وفـى هذا البحث أضىء جوانب العظمة فى الإسلام، الذى منح الإنسان كل أسـباب النجاح والفوز فى معركة الحياة، وآمل أن يعرف إنسان اليوم وإنسان الغـد، مكانه فى الدين، ومكانه فى الدنيا، ومكانه عند الله والناس..،

القسم الأول

حقائق من الإسلام



(١)
توحيد الله وحده لا شريك له

ديننا وكتابه الكريم، ورسوله الأمين يدعو الناس كافة إلى توحيـد الله وإلى عبادته وحده لا شريك له، مالك الملك ذى الجلال والإكرام، وإلى نبـذ الشريك والصاحبة والولد، وإلى الاعتقاد بالإله الواحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد[١] بيده كل شيء، وعنده مفاتيح السموات والأرض، وهو القاهر فوق عباده، وهو العزيز الجبار المتكبر المهيمن على الكون وكل ما فيه ومن فيه من ملائكة. وأنس وجن من عالم الغيب، وهو القوى القـادر وهو الخالق لكل شيء والمدبر لكل أمر والمسيطر على ملكـوت السـموات والأرض، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، ما اتخذ الله من صاحبة، وما كـان معه من إله.

وعقيدة التوحيد فى الإسلام هى إيذان من الله بأن الإنسان لا يمكنـه السعى فى الحياة، ولا العمل فى جوانبها إلا إذا ملأه قلبه إيمانا بالله ورسـوله ليكون ذلك الإيمان عصمة له من الضلال والتيه فى الأرض، ووقاية له مـن الانحراف والخذلان، وعاصما له من الردى والزيف والفساد، وعونا له على أن يشق طريقه فى أرجاء الدنيا، ليعمل وليسعد نفسه والناس بتوفيق من الله.

ويؤكد همايون كبير "أحد أعلام الثقافـة الإسـلامية فـى الـهند أن التوحيد، وهو جوهر العقيدة الإسلامية فى صلة الإنسان بخالقه، ويقوم علـى ما أثبته العلم من اتساق هذا الكون العظيم وثبات سننه، فهذا الوجود الكونـى الكبير المتسق الثابت المحكوم بسنن ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ولا تتحول لابـد

---

[١] سورة الإخلاص.

أن يكون صنع إله واحد عظيم ليس كمثله شيء وهو خـــالق هــذا الكــون ومبدعه الذى لا شريك له .. وهى حقيقة يدركها العقل دون عناء .. ويقــول أيضًا: أن الإسلام تنقل بالإنسان من عصر الخرافة إلى عصر العلم، ومـــن الإيمان المجرد إلى الإيمان العقلى المدرك. فالإسلام دين العقل والمعرفـــة، وهو على خلاف المفهوم الغربى للدين إذ يتناول علاقة الإنسان لعالم الغيـب، كما يتناول صلات الإنسان بالإنسان فى شريعة تقوم على العدالة والإنصــاف وتتسم بالبساطة والدقة فى كل ما يتصل بحياة الإنسان على الأرض.

فإذا كان الإسلام قد واءم بين القوى المادية والقوى الروحية، ووفــق بينهما، فقد جمع بين مشاعر الإنسان وعقله، وبين الفكر التجريدى والواقـــع العلمى، بل أن التوحيد وهو جوهر العقيدة الإسلامية قــد أدى بالتـــالى إلـــى تقرير قواعد المساواة والعدالة والإخاء والحرية، فالمسلمون إخوان يجـب أن تقوم المحبة بينهم مقام البأس، بل مقام القانون - كما يقول مؤلف حياة محمـد - فلا يكمل إيمان أحدهم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه والناس أحرار فـــى كل شيء، أحرار فى العقيدة نفسها، فلا إكراه فى الدين، ولا إيمان إلا بعـــد اقتناع بالحجة والموعظة الحسنة.

وهذا التوفيق بين القوى المادية والقوى الروحيـــة، وبيـــن التجريـد والواقع، وبين المدرك والغيبى، هو الذى صاغ الحيـــاة الإســـلامية والفكـــر الإسلامى، وهو الذى قامت عليه حضارة الإسلام يوم قدر لها أن تسود العالم وأن ترفع منارة الإسلام فى الخافقين.

وهذا التوفيق الذى قامت عليه الحياة فى الإسلام هو نقيض ما قــامت عليه الحياة فى الغرب الأوروبى وما أخذت به من نظم الحياة والمجتمع، وقد أعلنت حضارة الغرب إفلاسها فيما يراه مفكروها فى عجزها عن التوفيـــق بين ما هو مادى وما هو روحى، وكانت الثورة على الدين والكنيسة معا سمة النهضة الأوروبية، إلا أن الانطلاق من قاعدة الحضارة الدينية وإن أفـــرزت

حضارة مادية هائلة قد أفرزت من ناحية أخرى إنسانا تائـــهًا بيـــن وجـــوده والغاية من وجوده وغذته بأفكار ضالة شاردة من الأنانية والنفعية والتفـــوق العنصرى ، مزقت روحه، وتوشك أن تعصف بحضارة العصر وتوردهـــا مورد الهلكة والبوار، وليس هذا مؤلفا، وإنما هو الكبار من مفكرى الغـــرب "كويلز" و"برتراند راسل" و"برنارد شو" وغيرهم وغيرهم.

الإيمان بالله هو القوة الدافعة الموجهة التى تسند الضعيـــف مـــن أن يسقط، وتمسك القوى من أن يجنح، وتعصم الغالب من أن يطغـــى. وتمنـــع المغلوب من أن ييأس، ونحن نعلم أن الملحدين هم أكثر الناس إقداماً علـــى الانتحار لأنه ليس فى قلوبهم بصيص من النور يبعث على الأمل فى الحيـلة. وشريعة التوحيد التى هى شهادة الدخول فى الإسلام بالإقرار بوحدانيـــة الله وبرسالة رسول الإسلام، وهى خير تربية للإنسان فى الحياة، إذ أنها هى التى ترفع رأسه إلى السماء، وتجعله سيد نفسه، وتزيح عنه سيطرة المشـــعوذين، وأوهام المتسلطين، وخرافات دعاة الوسائط والأساطير والمزاعـــم الباطلـــة بشركاء لله خالق الأرض والسماء.

٢- الإيمان .. الإيمان .. الإيمان

إن الإيمان هو نبع الفطرة فى صدقها وصفاتها .. وإذا صدق الإيمان فى القلب، كان لذلك آثاره فى عقيدة المؤمن وشعوره، وفى صلته بالله تعالى، وفى جهاده فى الحياة، فلا يقبل إلا الحق، ولا يعبد إلا الله، ولا يخشى فى الله لومة لائم، ولا يرتبط بالباطل فى قول أو عمل، بل يكون شهيدا على الناس من حوله، يرشد ضالهم، وينصح مخطئهم، ويعطيهم من نفسه المثل والقدوة بأخلاقه وسلوكه، مؤثرًا فيهم بما فى قلبه من النور واليقين، غير متأثر بما لدى البعض من باطل.

وصاحب الإيمان الصادق لا تزيده الأيام إلا يقينًا، فإن أصابه خير شكر ربه، وأدى حق الله فى نعمته، وإن أصابه شر حمد الله، ورضى بقضائه، ولا يضعف ثقته بالله شىء.

قال تعالى: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) (الحجرات: ١٥).

وقال تعالى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقًا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) (الأنفال: ٢ - ٤).

روى الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: إن النبىﷺ قال: "المؤمنون فى الدنيا على ثلاثة أجزاء: الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله، والذى يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والذى إذا أشرف على طمع تركه لله عز وجل".

وكما أن الخوف من الله ومراقبة جلاله أثر من آثار الإيمان الصادق، فإن حب الله، وحب الرسولﷺ وحب الإسلام، كمنهج للحياة بحيث لا يربو على هذا الحب شيء أبدًا، يدل على صدق الإيمان كذلك وعمقه فى ضمير المؤمن.

ولا شك أن الإيمان الصادق العميق، يحيا به ضمير المؤمن، وتسلم به اتجاهاته .. فبينما يتخبط الملايين، فى دياجير الظلام الحالك، وسبل الضلال، ترى المؤمن بوحى من تفاعل الإيمان فى كيانه: مرهف الحس، صادق العزم، صالح العمل لا تستذله الحياة، وما فيها ولا تعصف به الشدائد مهما بلغت حدتها.

على أن الإيمان لابد أن يقترن بالعمل وفق ما أمر به الله جل جلاله، وفى سور كتاب الله يذكر الإيمان ويقرن بالعمل للصالحات التى تقرب العبد من الله.

٣- القرآن معجزة السماء

(١)

نزلت الرسالة على محمد بن عبـــد الله، وبلغـــها للنـــاس، وأعلنـــها للجماهير فى عزم وقوة وأمانة تبليغ.

وكفرت قريش، وكفر العرب برسالة السماء ..

وقالوا عن رسول الله صلوات الله عليه أنه شاعر .. وأنه مجنـون .. وأنه ساحر .. وأنه طموح يبغى الملك، وأنه صاحب هدف يبغى المتعـــة .. وغير ذلك من أكاذيب قالوها ولفقوها وجهروا بها بين الناس ..

وعللت قريش كفرها بأنها لو آمنت برسالة محمد لتخطفها الناس مـن حولهم!

وقالوا: إنْ نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا!

"أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا؟ ولكن أكثرهم لا يعلمون" (٥٧ من سورة القصص)

وهكذا رد الله عز وجل عليهم افتراءهم فى قوة وعزم ..

كيف يتخطفهم الناس من حولهم، وقد هيأ الله لهم الحرم من حولـــهم، وهو حرام آمن تجيىء إليه الثمرات من كل حدب، ويقصده الناس من كـــل مكان؟! ..

ألم نجعلهم سادة العرب، وزعماء على كل القبائل والعشائر؟

وفى آية أخرى يقول الله عز وجل فى كتابه الحكيم: أو لم يروا أنـــا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم، أفبالباطل يؤمنون وبنعمـــة الله يكفرون؟

(٦٧ العنكبوت)

ومن أجل هذا الكفر والعناد واللجاج تحدى الله عز وجـــل العـرب بالقرآن الكريم، بهذه المعجزة الإلهية الخالدة، وبذلك الكتاب الحكيم المبين.

تحداهم أول الأمر أن يأتوا بمثله، فقال تعالى:

(فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين)

وقال عز وجل:

(قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هــذا القــرآن، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (٨٨ الإسراء).

عجز المشركون إذن عن أن يأتوا بمثل كتاب الله المنزل من السماء، وهم أمة مفطورة على البلاغة والأدب والشعر، وكانوا أكــثر مــا يكونـــون خطيبا وشاعرا.

فتحداهم عز وجل بعد ذلك أن يأتوا بعشر سور مـــن أمثــال ســـور القرآن الكريم .. فقال تعالى فى كتابه الحكيم: أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين، فــإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هـــو، فـــهل أنتــم مسلمون؟ ..

وعجزت العرب وعجزت قريش وهم أفصح العرب لسانا، وأبلغـــهم بيانا .. فعاد محمد صلوات الله عليه يتحداهم بسورة من سور القرآن الكريم، وسورة واحدة يأتون بها، تضارع فى نظمها وبلاغتها وجودتها سورة مـــن سور كتاب الله ..

"أم يقولون افتراه، قل فأتوا بسورة مثله"

وقال عز وجل أيضًا:

"وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله .."

وقال عز وجل:

وكان العجز أمام التحدى، وكان السكوت المطبق أمام هذا القيـــال، وأخذوا يهزون ويقولون مالا يعرفون، ويهرفون بما لا يدركـــون .. قـــالوا: ساحر، وقالوا: كاهن، وقالوا: شاعر، وقالوا: مجنون، وقالوا: كذاب أشـــر .. إلى غير ذلك الهراء والافتراء.

(٢)

إن عظمة القرآن الكريم إنه كتاب يحيط بجوانب الأولى والآخـــرة، ويعرض عليك الكون كله ويقص عليك قصة الحياة ذاتها، ويخبرك بأخبـــار الأولين والآخرين، ويوقفك على نشأة الحياة على الأرض، وينبئك بأنباء الأمم والشعوب والرسل والأنبياء، وبجهاد رسل الله من أجل الدعوة إلى الإيمـــان بإله واحد لا إله غيره ولا معبود سواه، ولا خالق إلا هو، ولا مدبر للكـــون والحياة والوجود غيره الإله العظيم الحكيم.

وعظمة القرآن إنه يريك الجنة والنار، ويريك ساكنى الجنة والجحيـم ويسمعك حوار أهل الجنة وأهل النار، وأنه يسمعك الحكمة الباهرة، والمثـــل السائر، والقولة البليغة، والكلمة النيرة .. ويعرض عليك جوهـــر رســالات السماء، ويدعوك إلى الإيمان المطلق، وإلى توحيد الله وعبادتـــه وطاعتـــه، وعظمة القرآن إنه يقدم لك دستورا خالدا أساسه الحـــق والعلـــم والمعرفـــة والتوحيد والإيمان، ودعامته الحرية والإخاء والمســـاواة، وأساســـه العـــدل والإحسان والتكافل الاجتماعى، وإنه يقدم لك تشريعات إلهية حكيمـــة للفـــرد والأسرة والمجتمع والأمة والشعوب، وإنه يدعو إلـــى فضـــائل الإنســـانية، ويحذرك من الشرور والمفاسد والفحشاء، وإنه يبصرك الطريق، ويوضح لك الغاية، ويضعك أمام مسئوليتك، ويتركك للعقل وللتفكير، وللتأمل، وإنه يقـول لك أسرار كل شىء فى الوجود فى إيجاز بليغ، وأسلوب فصيح.

(٣)

وعظمة القرآن فى أنه معجز، معجز للأولين وللآخرين، فلا يمكـــن لبشر أن يكتب كتابا أو يؤلف قصيدة يقول لنا فيها شيئا ولو صغـــيرا عـــن أسرار الكون والحياة الإنسانية، و يكشف لنا عن أســـرار النشـــأة الأولـــى وأطوارها، أو يحدثنا عن أخبار البشرية وتاريخها الطويل، ولا يمكن لبشـــر

أن يصوغ أى حدث من الأحداث التى ذكرها القرآن الكريم بمثل هذه البلاغة وهذا الإيجاز.

وهذا الحوار الرائع العظيم الذى سجله القرآن الكريم بين الملائكة أو بين أهل الجنة وأهل النار، أو بين الرسل وأممهم، أو بين أهل الأديان والمذاهب المختلفة، لا يستطيع بشر أن يجارى فيه القرآن الكريم، أو يسير شوطا فى طريقه الطويل.

حدث عن القرآن ولا حرج، حدث عن معجزة الإنسانية كلها ولا خبير، حدث عن جلال الروح، وسمو الغاية، ونبل الهدف، وعظمة الفكر، ولا تخشى لائمة لائم.

حدث عن مواقف مشركى مكة حين سمعوا القرآن الكريم، فأصيبوا بالذهول، وملكتهم الدهشة، وباءوا بالخسران، وأين هم من هذا الكلام العظيم، والفكر الكبير، والمضامين الرفيعة، والمعانى الجديدة، والأغراض الشريفة، والصور البليغة، بل أين جبابرة العقول وجهابذة الفكر وأعلام البيان من كل عصر وجيل، من كلاب رب العالمين وأحكم الحاكمين، وخالق الكون والناس أجمعين؟

إن القرآن الكريم تحدى الدنيا كلها والإنسانية جمعاء، ولا يزال يتحدى، إيذانا بأنه كلام رب العالمين، وبصدق رسالة محمد الهاشمى القرشى الأمين، وبأن بشرا لا يمكن أن يعارض كتاب الله، ولو حاول المستحيل، فليس أية مقدرة على ذلك لا فى الكثير أو القليل.

٤ - الإسلام هو المنهج الرفيع للإنسان وللمجتمع وللأمـــــة

لقد أدى جمود الفكر الإنسانى عند المسلمين بعد عصور طويلة مـــن الركود والتخلف إلى التماس نظم ومذاهب اجتماعية وسياســـية واقتصاديـــة كثيرا ما تتباين مع جوهر الإسلام وشريعته الخالدة. فى حين أننا لو التمســنا فيما جاء به الإسلام من قواعد للسلوك والأخلاق والمعــــاملات والعلاقـــات والنظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لظفرنا بنظرية متكاملة للحضــــارة والمجتمع يمكن أن تتطور وتنمو لتتواءم مع كل زمان ومكان.

فالإسلام دين الفطرة يتوافق مع الحياة ويشاكلها ولا يشذ عنها وكان هديا فى صدر الإسلام لمن قاموا على الدول الإسلامية الناشئة فى تنظيمـــها وفى سياستها وفى إقامة أمورها لا يحول بينهم وبين الاقتباس مــــن أنظمـــة أخرى مالا يجافى جوهر الإسلام وشريعته ولا يقعد بهم عن النظــــر فيمـــا يساعدهم على بناء نظامهم الاقتصادى وإدارتهم للدولة ويحملهم عليــــه مـــا صارت إليه الجماعة الإسلامية من امتداد واتساع ونفوذ واتصال بحضـــارات ونظم قديمة ما لبثت أن دانت بالإسلام دينا وشريعة وحياة فى ظــــل دولـــة إسلامية امتدت من جدار الصين إلى سيف "الاوقيانوس".

فلما وهن الفكر الإسلامى عند المسلمين، وذوت الحضارة الإسلامية، وأسلم المسلمون قيادهم لحضارة غربية غالبة، نسوا فى فـــترة الإحيـــاء، أن يتبينوا طريقهم للتقدم على هدى ماضيهم العظيم وشريعتهم الخالدة، وغلـــب عليهم الفكر الغربى بكل ما فيه من ضلالات.

لقد بهرهم الشكل دون الجوهر، فلم يسيروا مع الغرب في الثقافة والعلوم، ولا في الصناعات والاكتشافات، وإنما أخذوا من الغرب ظواهر المدنية وبهارجها الزائفة.

والإسلام دين وعقيدة ومنهج حياة يتفق مع العلم والعقل، وهو كما قال ابن قيم الجوزية: "أينما كانت المصلحة فثم شرع الله" ويكمل ابن عقيل ذلك فيقول: "وإن لم ينزل فى ذلك وحى ولا قال به الرسول" وحسب الإسلام فخرا إقراره لشريعة التوحيد وإقراره لحقوق الإنسان ولمبادئ الحرية والإخاء والمساواة.

والحضارة الإسلامية ازدهرت فى ظل العقيدة والمقررات الدينية وجمعت بصورة باهرة بين التفكير المنطقى والشعور الذاتى، كما يقول الدكتور محمد حسين هيكل مؤلف "حياة محمد" وبين قواعد العقل وهدى العلم.

أما حضارة الغرب، فإنها تعيش مع صراع مرير بينها وبين الدين ومقررات الكنيسة، حيث قام الدين عندهم على علاقة مبهمة بين الإنسان والقوى الغير المنظورة دثرتها طقوس كنسية مبهمة معقدة، مما عدوه مجافيا للعلم وللعقل.

ونحن نعلم أن رسالة الإسلام هى آخر الرسالات وأنها هى التى قد اكتملت بها شريعة الحياة حين صاغت للناس حياتهم المادية والروحية فشرعت من الدين ما شمل الدنيا والآخرة وحررت النفس من نوازع الضلال والشرك، وأرست قواعد الأخلاق على أساس من توقير الحياة وعلاء الكرامة الإنسانية، وأقامت قواعد الدين وسنن الكون على أساس من التأمل والفكر السليم لا يناقض العقل فيها الإحساس ونظم العلاقات الاجتماعية والواجبات الإنسانية، على أساس من الواجب والمسئولية. وحدد المثوبة والجزاء وربط بين الدين والحياة برباط من الوحدة والاتساق، لا يشذ فيهما

أحدهما عن الآخر، ولا يتنكب الإنسان فى أحدهما سبيل الخير، فكان دين الفطرة، يتوافق مع كل زمان ومكان ويتوافق مع العلم ولا يجفوه، يحض عليه ويوصى بطلبه، فكان تقدم العلم فى ظل الإسلام -كما يقول "همايون كبير"، حيث رد الإسلام للعقيدة والإيمان إلى العقل والرؤية الصائبة.

فالحياة الإسلامية فى استنادها إلى الفكر الإسلامى والشريعة الإسلامية تقوم على أساس هو النقيض من أساس حضارة الغرب اليوم، فهى تقوم على أساس روحى يدعو الإنسان إلى إدراك صلته بالوجود إدراكا قويمًا.

وحضارة الإسلام: "تختلف من هذه الناحية عن الحضارة الغربية المتحكمة اليوم فى العالم، كما تختلف عنها فى تصوير الأساس الذى يقوم هذا التصوير عليه، وهذا الاختلاف بين الواحدة والأخرى من هاتين الحضارتين جوهرى إلى الحد الذى يجعل أساس كل واحد منهما نقيض الأساس الذى تقوم عليه الأخرى".

الإسلام أضاء الحياة أمام الإنسان، فشرع العلم بدلا من الجهل والحضارة بدلا من البداوة والأخلاق الفاضلة بدلا من الرذائل الزائفة الفاسدة.

واللغة العربية نفسها هى دعامة من دعائم الحياة الإسلامية، وذلك لأنها أعرق اللغات منبتا، وأعزها جانبا، وأقواها جلادة، وأغزرها مادة وأدقها تصويرا، لما يقع تحت الحس، وتعبيرا عما يجول فى النفس. نزل القرآن بلسانها فجعلها أكثر رسوخا وأشد بنيانا، وأقوى استقرارا .. وبفضل القرآن صارت العربية أبعد اللغات مدى، وأوسعها أفقا، وأقدرها على النهوض بتبعاتها عبر التطور الدائم الذى تعيشه الإنسانية.

واستطاعت اللغة العربية فى عالمية الإسلام أن تتسع لتحيط بأبعد انطلاقات الفكر، وترتقى حتى تصل أرقى اختلاجات النفس، وليس هناك معنى من المعانى، ولا فكر من الأفكار، ولا عاطفة من العواطف، ولا

نظرية من النظريات، تعجز اللغة العربية عن تصورها بالأحرف والكلمـــات تصويرا حيا بارزا ..

والإسلام ختام للأديان السماوية، وهو بذلك رباط لها مـــن الناحيـــة التاريخية، كما كان فى الوقت ذاته تصحيحا لما أصابها من تحريف الفلاســفة والوضعيين.

ولقد كان هذا كله قوة دفع للفكر الإسلامى، وما اتصل به من حيـــاة ومن هنا انطوى التفاعل الإسلامى على قوة غلبت كل التحديات الجاهليـــة .. فانتشر طابع العقيدة الإسلامية على فاعلية لم يعرف فى تاريخ الإنسانية لـــها مثيل.

٥٥- حقوق الإنسان مصونة

-١١-

احترام رسول الله (ص) للإنسان وكرامته، وحفظه لحقوقه، وصيانته لها، أمر معروف.

لم يعتد يوماً من الأيام على أحد ولو بكلمة، ولم يمنع أحداً من إبداء رأيه، ولم يصادر مالاً لأحد، ولم يحجز على أحد في ماله أو في أمر من أمور حياته.

كرامة الإنسان وعرضه وماله ودمه وحريته التامة في حدود المسئولية وتعاليم الله، كل ذلك مصون.

مساعدة المسلم في عيشه وشئون رزقه وتهيئة فرص العمل له واجب.

حق الإنسان في تكوين الأسرة، وفي الملكية، وفي العمل، كل ذلك مصون.

ومن ذلك تعلم المسلمون أن يحافظوا على حقوق الناس كل المحافظة وألا يعتدوا على أحد أو على هذه الحقوق وما ماثلها، وأن لا يفرطوا فيها وألا يستهينوا بلون من الاستهانة بها.

وفي الحديث الشريف: لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة رواه مسلم[1].

وقال رسول الله صلوات الله عليه:

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده[2] - متفق عليه. أي من كلامه ومن فعله.

---

(١) ٨٦ رياض الصالحين.

(٢) ١٨٨ رياض الصالحين.

حرية الإنسان في الإسلام شاملة عامة، حرية تنطوي تحت المسئولية لا يقيد الإنسان أي قيد ولا يحجر عليه ولا يحال بينه وبين التصرف أحد فيه ما دام قد بلغ سن الرشد ولا يمنعه من التصرف في ماله أحد إلا بأسباب شرعية وفي ظروف خاصة. لكل فرد أن يبدي رأيه في سياسة الحاكم ويناقشه الحساب ولعلك أيها القارئ تذكر كلمات عمر المأثورة: إن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فقوموني.. أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم، وإني وليت عليكم ولست بخيركم. بل لعلك تعرف مناقشة المرأة له في فكرة تحديد المهور وردها عليه وقوله لها: قد ذكرت بالحق "أصابت امرأة وأخطأ عمر". والصلة بين الرؤساء والمرؤوسين صلة الأب بأبنائه والراعي برعيته .. الإمام راع ومسئول عن رعيته، وأمور الناس تحكم بالشورى .. (وشاورهم في الأمر)(1)، (وأمرهم شورى بينهم)(2) حتى حرية الدين الذي نص عليها القرآن الكريم بقوله: (لا إكراه في الدين)(3) ما دام هذا الدين الذي يؤمن به الإنسان دينا سماويا صحيحا. أما الشرك والوثنية فلا يعترف بهما الإسلام لأنهما انتكاس في الإنسانية، وطمس للفطرة الإلهية، وقضاء على كرامة الإنسان وعقله ووجوده الفكري والروحي والأدبي والاجتماعي.

أين هذه الحرية الآن في القرن العشرين عصر الكهرباء والذرة والعلم؟ أين حريات الأمم السياسية وحريات الرأي والفكر والحريات الشخصية، إنها أوهام وخيالات لا وجود لها في كثير من الأحيان رغم أن

---

(1) ١٥٩ آل عمران ..

(2) ٣٩ الشورى.

(3) ٢٥٩ البقرة.

المفكرين قد سئموا من الدعوة إليها، ورغم حماية القوانين العامـــة للـــهيئات الدولية والأمم المتمدينة لهذه الحريات.

ليست الحرية فى الإسلام حرية فى الهدم ولكن فى البناء، أنها الحرية التى لا يحدها شىء إلا توجيه الضمير ورقابة الروح الدينـــى فـــى النفـــس ونزعات الفطرة الإنسانية فى الإنسان.

حرية عامة شاملة تعم الحاكم والمحكوم وتشمل الشعوب الصغـــيرة والكبيرة، ويطلقها الإسلام لكل مسلم ومســـلمة، وتتنـــاول الشـــعب الفـــاتح والشعوب المغلوبة على أمرها على السواء .. فأين هذا. من الحريـــة عنـــد الغرب التى لا يتمتع بها إلا السادة المستعمرون، أمـــا الشـــعوب المســـتعبدة فتعيش فى أشد استعباد، وأفظع ضغط على حريات الناس الخاصة والعامـــة فيها؟

-٣-

أما الإخاء فى الإسلام فهو إخاء عام شامل، المؤمنون جميعـــا بـــل الناس كافة إخوة فى الله وأخوة فى الإنسانية .. (إنما المؤمنون أخوة) حتـــى الخدم جعلهم رسول الله صلوات الله عليه إخوان المخدومين فقال: (أخوانكـــم خولكم) ألغى الإسلام نظام الطبقات وألغى العنصرية الكاذبـــة والعصبيـــات الحمقاء، وألغى نظام الألقاب (المسلم أخو المسلم لا يظلمه) وقال (المؤمـــن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) و(مثل المؤمنين فى تراحمـــهم وتوادهـــم كمثل الجسد الواحد) (الناس من آدم وآدم من تراب) الحسب والنسب والمـــال لا تغنى عن الإنسان شيئا، وهل فى ذلك أبلغ من قول رسول الله صلوات الله عليه لابنته؟: (يا فاطمة اعملى فإنى لا أغنى عنك مـــن الله شـــيئا) وقولـــه صلوات الله عليه: (إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالإباء) (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) فأين هذا مما تعملـــه أمريكـــا الديموقراطية فى رعاياها اليوم: البيض لهم كل شىء فى الدولـــة والزنـــوج

والسود لا حق لهم على الإطلاق، بل ليسوا مثل أولئك فى البشرية وفى الكرامة الأدبية فى الحياة.

فالإخاء والإسلام .. هو الأصل الأصيل فى بناء دولة الإسلام، وقيام الأمة الإسلامية .. ولقد كان العرب - قبل الإسلام - والناس معهم على شفا حفرة من النار متشاكسون، متنافرون، متحاربون. سنين طويلة، من أجل ناقة فنزلت الآيات. قيل لهم: تحابوا. قيل لهم: تآخوا. فتآخوا. ثم قيل لهم: انفروا. فهبوا خفافا وثقالا .. تنزلت الآيات .. فقالوا: سمعنا وأطعنا. ومؤمنو مكة، على اختلاف قبائلهم ما عرفنا لهم اسمًا فى التاريخ إلا المهاجرين ومؤمنو المدينة على اختلاف قبائلهم ما عرفنا لهم اسمًا فى التاريخ إلا الأنصار فإذا بالفرقاء والمتشاكسون دولة[1].

والإسلام لم يكتف بإطلاق اسم المهاجرين، على المؤمنين من أهل مكة الذين هاجروا إلى المدينة .. ولم يكتف أيضًا بإطلاق اسم الأنصار على قبيلتى الأوس والخزرج أبناء قيلة. مع أن إطلاق اسم الأنصار والمهاجرين كاف لإعطاء العمق الإسلامى الأصيل.

لم يكتف الإسلام بهذا. ولذا نجد رسول الله - ﷺ - يبدأ فى البناء الأخوى الكامل، ليقيم دولة الإسلام، على أساس سليم.

قال ابن اسحق: (وآخى رسول ﷺ، بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال فيما بلغنا: تآخوا فى الله أخوين أخوين)[2].

والأخوة فى الإسلام، قاعدة الحياة ولا حياة بدون إخاء، والأخوة فى الإسلام فوق كل الحواجز الجنسية، والعرقية، والقومية، والحزبية والسياسية .. وهى فى الإسلام تقوم على أصول أصلية، وقواعد متينة.

١- من ذلك وحد الأصل الإنسانى فالناس جميعًا على اختلاف أجناسهم، وتمايز ألوانهم، وتباعد أقطارهم .. يرجعون إلى أب واحد، وأصل

---

[1] مجلة البحوث الإسلامية، العدد الأول، الرياض، السعودية.

[2] سيرة النبى لابن هشام. الجزء الثانى. ص٣٥١.

واحد ولطالما ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة وبينها فى أساليب شتى، وأيـات متعددة لكى تكون دائمًا موضع الاعتبار والرعاية.

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)

١٣ الحجرات

٢– ووحدة العقيدة من أهم الركائز لوحدة المسلمين، وتكامل أخوتهم. وعقيدة المسلمين واحدة، لا تختلف باختلاف جنس من الأجناس، أو لون من الألوان، أو مصر من الأمصار أو جيل من الأجيال، أو زمن من الأزمان. هذه العقيدة قائمة وتقوم على الإيمان بالله، وبرسول الله وبكل ما فى القرآن .. وأن الإسلام هو الإسلام .. والقرآن هو القرآن .. ومن آيات العقيدة فى القرآن .. قول الله تعالى: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) (البقرة: ١٧٧).

وعقيدة الإسلام .. واحدة لدى كل المسلمين فى شرق الأرض وغربها، وشمالها وجنوبها، تجتمع عليها قلوبهم، وتحفظها عقولهم، وتستيقنها نفوسهم، ووحدة العقيدة .. جددت بين المسلمين ما مضى من قرابة الدم القائمة بينهم.

وإذا كانت أبوة آدم عليه السلام، أبوة مادية، تجمع بين الأمة الإسلامية، وتوحد بينها فى الأصل .. فإن العقيدة الإسلاميه هى أبوة روحية، ترجع إليها فروع المؤمنين والحق أن المؤمن حينما يستشعر جَلال هذا الأصل الروحى، الذى يجمعه وأخواته المسلمين فى مشارق الأرض

ومغاربها إلى جانب الأصل المادى الذى يرجعه معهم إلى أبوة واحدة. فإنه حينئذ يشعر أنه يحيا بإخوانه ويحيا لهم ويحس كأنه غصن من أغصان شجرة عظيمة يحيا بحياتها ويموت بموتها[1].

وإن رابطة العقيدة فى الإسلام - وهى رابطة فى المبادئ المثل العليا، والقيم الرفيعة - من أقوى عوامل التقدم والازدهار. وتلك التعاليم هى أعلى وأقوى من رابطة الدم والنسب، والمساكنة، فى الوطن والمشاركة فى القومية .. وهذا الأساس هو المنطلق الوحيد .. إلى صعيد اللقاء الإنسانى، على أساس المبادئ. مبادئ الحق، والعدل والخير .. ورابطة العقيدة تلزم المسلم بوحدة العبادة وشعائر الدين.

٣- وحدة مصدر التشريع .. ومصدر التشريع واحد لدى المسلمين .. وهو القرآن الكريم، كتاب الله، الذى أنزله ليكون دستور الخلق فى إصلاح الخلق .. ينظم الحياة، ويعالج النفوس، ويقوم إعوجاج المجتمع.

والأخوة الإسلامية بين المسلمين جميعا مظهر لهذه الوحدة، والله عز وجل يقول: إنما المؤمنون إخوة (١٠ الحجرات)، وفى سنن أبى داود عن أبى هريرة عن رسول الله (ص): المؤمن أخو المؤمن.

-٤-

وإما المساواة فى الإسلام فهى مساواة كاملة بين الرجل والمرأة والصغير والكبير والمحكوم والحاكم، بين جميع الطبقات والجماعات. بين الأغنياء والفقراء.. مساواة لا تعرف فيها ظلما ولا عنتا ولا آثامًا. القانون الإسلامى يشمل الجميع لا فرق بين إنسان وإنسان، والعدالة تطبق على الجميع بلا محسوبية ولا استثناف. يقول رسول الله: (والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها). ووزعت الحقوق والواجبات على الأفراد

[1] المسلمون أمة واحدة ص١٣ وزارة الأوقاف.

على حد سواء، وفتح الإسلام آفاق الوصـــول إلـــى أســـمى الغايـــات أمـــام المتنافسين من كل جنس ولون وأمة، حتى لقد ولى رسول الله بـــلالا علـــى المدينة وفيها سادة المسلمين من الأنصار والمهاجرين وبلال عبـــد حبشـــى اشتراه أبو بكر وأعتقه، وأسند إلى مهران الفارسى ولاية اليمن وهـــو مـــن صميم الفرس، فلما مات أسندها إلى ابنه. ويقول رســـول الله فـــى ســـلمان الفارسى الأعجمى: (سليمان منا أهل البيت).

وقد سار خلفاء محمد على نهجه فى المساواة التامـــة بيـــن النـــاس والمسلمين كافة. قال الحسن البصرى: حضر إلى باب عمر سهيل بن عمرو بن الحارث بن هشام وأبو سفيان بن حرب فى نفر من قريـــش مـــن تلـــك الرءوس، وصهيب وبلال من أولئك الموالى - أى الذين كانوا عبيـــدا قبـــل الإسلام وهم من عناصر غير عربية وقد شهدوا بـــدرا، فخـــرج إذن عمـــر لأولئك الموالى وأخر السادة فقال أبو سفيان: لم أر كاليوم قط يأذن لـــهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه لا يلتفت إلينا؟ فقال سهيل وكان رجلا حصيفـــا: إن كنتم غضابًا فاغضبوا على أنفسكم، دعى القوم ودعيتم فأسرعوا وأبطـــأتم .. فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم؟

وألغى الإسلام ورسوله الكريم الامتيازات الفردية والطائفية، ومحـــى ما بين الطبقات من الفروق فى الحقوق والواجبات، ووحد الشريعة وأخضـــع لها الكافة لا فرق بين حاكم ومحكوم فى عصر كان الناس فيه يؤمنون بـــأن الحاكم ظل الله فى أرضه.. عدالة تامة بين الجميع حتى لقد شكا يهودى على بن أبى طالب فى خصومة، فأحضرهما عمر أمير المؤمنين وقال عمر لعلى: قف يا أبا الحسين بجانب خصمك. فبدأ التأثر على وجه على فقال له عمـــر: أكرهت يا على أن تقف إلى جانب خصمك؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين ولكنى رأيتك لم تسو بينى وبينه إذ عظمتنى بالتكنية ولم تكنه. ورأى عمـــر رجـــلا وامرأة على فاحشة فجمع الناس وخطبهم وقال: مـــا الـــرأى إذا رأى أمـــير

المؤمنين رجلا وامرأة على فاحشة؟ فنهض إليه على قائلاً: يأتى على صحة قوله بأربعة شهداء وإلا فيقام عليه حد القذف.

إن المساواة تامة فى كل شىء بين الناس عامة فى الإسلام .. مساواة فى الحقوق والواجبات، فى الكرامة وأمام القانون، لأن الناس خلقوا متساوين فى حكم الله لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ويقول عمر: "أما والله ما أرسل عمالى إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلتهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلى، فوالذى نفسى بيده إذن لأقصنه وقد رأيت رسول الله صلوات الله عليه يقص من نفسه.

ولقد سوى الإسلام بين الناس فى الحقوق والواجبات وجعلهم سواء أمام الشريعة، فالشريعة ماضية عليهم جميعهم.

روى أن امرأة من بنى مخزوم سرقت فقالت قريش: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ أى ليضع عنها الحد، ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ؟ فكلم أسامة رسول الله فقال الرسول: (أتشفع فى حد من حدود الله؟) ثم قام فخطب فقال: (يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد. وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها).

هذه مساواة بين الشرفاء والضعفاء فى الحدود، فلا توضع عن شريف لشرفه إذا ارتكب موجبها .. وبين الرسول أن التفرقة بين الضعفاء والشرفاء فى الحدود كانت العلة فى ضلال الأمم السابقة.

المساواة فى الإسلام .. مساواة كاملة بين الناس جميعًا: بين المرأة والرجل والصغير والكبير والمحكوم والحاكم، بين جميع الطبقات والجماعات، بين الأغنياء والفقراء مساواة يحميها الإسلام وكتابه ورسوله

وخلفاؤه، ولا تعرف أى لون من ألوان التمييز بين الناس حتى لقد كان الخليفة عمر يمشى وعبده معه راكب، وولى رسول الله بلال الحبشى على المدينة وفيها سادات الأنصار والمهاجرين، وأسند إلى مهران الفارسى ولاية اليمن وقال: (ليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى) وأذن الخليفة عمر لصهيب وبلال وسواهما من عامة الموالى بالدخول عليه قبل سادة قريش، وألغى الإسلام والفوارق والامتيازات ووزع الحقوق والواجبات على الأفراد على السواء وصار الحاكم والمحكوم جميعًا على قدم المساواة فى المسئوليات والالتزامات، ويؤيد مبدأ المساواة فى الإسلام عدالة اجتماعية قوية أيدها ودعا إليها وتقوم على الأخوة والتكافل العام وأساسها التحرر الوجدانى وتتخذ من الضمير البشرى والتشريع القانونى وسائل لتحقيقها وإذاعتها بين الناس فأين هذا من الفلسفات الحديثة التى تتنكر لمبدأ المساواة؟.

إن المساواة هى أكبر الضمان ضد الشرور والآفات الاجتماعية التى زلزلت الأمم، والتى قد تكون أساسًا لأكثر هذه الحروب المهلكة للبشر.

فالديموقراطية الإسلامية التى هى أساس الحكم الصالح والحياة السعيدة هى ديموقراطية لا شبيه لها، وليست المظاهر الخادعة من أشكال الحكم على تنوعها بواحدة مثل الديموقراطية فإن أساسها فى الضمير، فلو أنها استقرت فى الحياة الحالية واتخذت سبيلها الذى أراده الإسلام لكانت كفيلة بالقضاء على أعظم مصادر الشر وآفته الاجتماعية.

والفروق الطبيعية بين الناس من الذكاء والحسب والجاه والمال والعلم حاول الإسلام تخفيف أثرها بتقريب الطبقات بعضها إلى بعض وبتشريعات الإسلام العادلة فى الزكاة والضرائب وأموال المسلمين ور-ها على الفقراء وصرفها للمساكين. ومما فرضه الإسلام على العالم أن يرشد الجّاهل وعلى

الصحيح أن يواسى المريض. وعلى الغنى أن يعطف على الفقير. وعلى الكبير أن يرحم الصغير.

حرية وإخاء ومساواة لم يعرف للإسلام فيها نظير أو شبيه لأنه دين الحق والبينة والإخلاص الدينى الذى جاء لإنقاذ البشرية والنهوض بها من الذلة إلى العزة ومن الجهل إلى العلم ومن الفقر إلى الرخاء ومن البداوة إلى الحضارة، حتى لقد قال برناردشو: لابد أن تعتنق الامبراطورية البريطانية النظم الإسلامية قبل نهاية هذا القرن، ولو أن محمدا بعث فى هذا العصر لقاد العالم إلى الإسلام والسعادة المنشودة.

وقال توماس كارليل: لقد أصبح من العار على أى فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى ما يقال من أن الدين الإسلامى باطل وأن محمدا خداع ومزور، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل تلك الأقوال السخيفة المخجلة فإن الرسالة التى أداها ذلك الرسول الكريم مازالت السراج المنير مدة ثلاثة عشر قرنا لنحو مائتى مليون من الناس.

٦- محاربة الفقر

الرسول صلوات الله عليه وبتعاليم السماء كان أشد الناس حربا للفقر، حرب عوان لا هدنة فيها كان بأمر المسلمين بالصدقة والإحسان والخير وعمل المعروف، وبالعطاء والكرم والجود، وببذل المال فى كل واد من أودية البر.

ونحن نعلم أن إخراج الزكاة، فريضة، وأن من شريعة الإسلام نظام المضاربة ليعمل الفقير فى مال الغنى وله نصف الربح.

وفى الإسلام شريعة الوقف والوصية وغيرهما.

وفى الحديث الشريف: على كل مسلم صدقة[١] - متفق عليه.

وقال صلوات الله عليه: كل معروف صدقة - رواه البخارى ومسلم.

وقال ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت[٢] — متفق عليه.

وقال صلوات الله عليه كما رواه أنس: من أحب أن يبسط له فى رزقه ويُنسأ له فى أثره فليصل رحمه — متفق عليه.

وقرن رسول الله (ص) صلة الأرحام بتوحيد الله عز وجل فقال فى حديث عمرو بن عنبة: دخلت على النبى (ص) بمكة فى أول عهد النبوة فقلت له:

-ما أنت؟

---

[١] ٩٥ رياض الصالحين.

[٢] ٤١٦ رياض الصالحين.

-قال: نبى.

-فقلت: وما نبى؟

-قال: أرسلنى الله تعالى.

-فقلت: بأى شىء أرسلك.

-قال: أرسلنى بصلة الأرحام، وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شىء[1].

وفريضة الزكاة هى أحد أركان الإسلام وهى واجبة على كل مسلم يملك نصاب الزكاة وقد فرضت فى السنة الثانية للهجرة، ولعظمة هذه الفريضة حارب أبو بكر المرتدين الذين قالوا: ما لنا وللزكاة وخرجوا بذلك عن شريعة الإسلام.

وهذا الركن الكبير من أركان الإسلام هو رسول السلام، وداعى المحبة والتعاون والعطف بين الناس، والمقوى للروابط بين الأفراد والطبقات، والمستل لأحقاد النفوس وأضغانها، والمقرب بين القلوب، لتصير الأمة كتلة واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى. الزكاة أجل إصلاح اجتماعى أتت به شريعة إلهية، وأكبر دعوة إلى التعاطف والتساعد والتماسك بين الناس، وهى وما حبب فيه الإسلام من الصدقة والإحسان ورعاية الفقير وإكرام الجار وقرى الضيف وابن السبيل لأعظم حل عملى لأعظم مشكلة عالمية استفحلت اليوم وهى الشيوعية ودعوة الشيوعيين.

ولما مات رسول الله صلوات الله عليه كانت القبائل العربية لا تزال بحمقها وجاهليتها غاضبة ناقمة على الإسلام وشريعته فى الزكاة فارت الكثير

---

[1] ١٢٢ رياض الصالحين.

منهم عن الإسلام، فصمم أبو بكر على محاربة هؤلاء المرتدين مهما كـــان وهو يقول: "والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه".

ونهض بنفسه لحرب المرتدين حتى أصاخوا لدعوة الإســـلام وأدوا لأبى بكر زكاة أموالهم التى كانوا يؤدونها لرسول الله.

رحمك الله يا عمر لقد سبقت العالم المتحضر إلى ما يعملـــون، فقـــد كنت تصرف للفقير من بيت مال المسلمين طعامه وكساء وغطاءه، وكنـــت تحمل على ظهرك القوت لتذهب إلى من تستطيع الذهاب إليه من الفقراء.

إن الزكاة ركن كبير من أركان الإسلام، وفيه علاج حاسم لأمـــواض المجتمع، وتقريب كبير بين طبقات الأمة وتعاون الأغنياء والفقـــراء ورفـــع لمستوى الأمة الاجتماعى، ودواء لأهم مشكلة من مشاكلنا العامة .. ألا وهى الفقر.

وإخراج الزكاة وتقديرها موكولان إلى ضمير المسلمين ودينهم، وهم المسئولون عن ذلك أمام الله وأمام المجتمع والناس .. ولكننا أصبحنا الآن فى زمن مادى يتحلل من شريعة الله ويعصى أوامر الله، ويجد الزكاة مغرما بعد أن كان أسلافنا الأولون يعدونها مغنما كبيرا لما فيها من كسب رضـــــاء الله وثوابه ومضاعفة الأجر عليها، ولما فيها مع ذلك من حيازة رضاء الملائكـــة والناس ودعوات الفقير واليتيم والمسكين، ولما فيها من قضاء على الإجـــرام والنهب والسرقة والاعتداء على أموال الأغنياء.

ولقد نظر محمد صلوات الله عليه إلى مشكلة الفقر باهتمـــام شـــديد، وسعى بنجاح تام إلى القضاء على هذه المشكلة بعقل المشرع وحكمة المصلح وإلهام الرسول، مع صعوبة التغلب على الفقر فى بيئة كبيئة الصحراء، وفـــى مجتمع لا يعرف إلا العصبية والفروق الظالمة بين طبقات الأغنياء والفقراء.

كان الناس ينظرون إلى المال على أنه هو الوسيلة لحيـــاة الرفاهيـــة والترف، ولاستعباد الفقراء، وتسخير الضعفاء، فحارب محمد صلـــوات الله

عليه هذه الفكرة الخاطئة وأعلن أن المال هو سبب لعمل الخير والبر والرحمة والمعروف ومواساة المنكوب وإغاثة الملهوف وإطعام الجائع وكسوة العارى وإسعاد الناس، وهو وديعة الله فى أيدى الأغنياء وعمال الله استخلفهم عليه، وجعل من سنة الإنسان المهذب فى الحياة الإيثار لا الأثرة الإعطاء لا الأخذ، والقناعة والرضا والشكر لا الجشع والطمع والسخط الجحود.

وكان الأغنياء لا يعرفون فى المال حقوق الله والفقراء والمساكين فطالبهم محمد صلوات الله عليه بما طالبهم به القرآن الكريم فى قول الله تعالى: "فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون[1]" ونهاهم عن البخل والإمساك والشح والتقتير فقال صلوات الله عليه: "إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم. وقال الله تعالى "ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون[2]" ومدح "المؤمنين" الذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم"، وفرض حق الضيف وابن السبيل وجعل صلوات الله عليه البر واجبا، والإحسان فريضة، والصدقة شريعة اجتماعية، والزكاة شرعا محتوما لمصلحة المجتمع كله. ونظم الوحدة الاجتماعية بين الناس وجعل أساسها الأسرة، وفرض على الرجل حقوقًا يؤديها من ماله لأسرته وأقاربه وأهله، وطالبه بأن يرعى أبناءه حق الرعاية ويوفر لهم بعمله وجده وسائل الحياة الكريمة، وحث على القناعة والاقتصاد فقال صلوات الله عليه: (طوبى لمن قنع بالإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به). وقال: (ما عال من اقتصد).

شرع الله لنبيه الكريم شرائع الزكاة والصدقات، فدعا إليها الرسول صلوات الله عليه وحض عليها ونادى بها، وسن كذلك تشريعات لعمن

[1] ٣٨ سورة الروم.

[2] من آية ٩ الحشر.

والإجارة والمزارعة والوصية والهبة والوقف والرهن والوديعة والقرض وعقود الشركات والمضاربة وسواها لكى تتداول الأيدى المال.

ويعمل فيه الفقراء والأغنياء قصدا للربح والكسب الحلال، ومن ثم حرم الإسلام ورسوله الكريم الربا والاحتكار والاستغلال وأكل أموال الناس بالباطل، وقرر محمد صلوات الله عليه كسب الأموال من طرقها المشروعة فقال: (من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار). وعمل على حفظ كرامة الفقراء ففضل صدقة السر وحض على ترك المن والأذى، وكره السؤال من غير حاجة، وجعل اليد العليا خيرا من اليد السفلى. وحبس محمد صلوات الله عليه الأموال — التى تؤخذ من الفيئ والخراج والجزية والغنائم والعشر والركاز وسواها على مصالح الفقراء والتمكين لهم فى الحياة والمعيشة، وحرر رقيق الأرض من العبودية، وطالب باحترام حقوق الرقيق الذى أسر فى حرب مشروعة، وبالعمل على تحريره، كما حرر العامل والخادم والمرأة من القيود والأغلال.

ودعا إلى توزيع الثروة توزيعا عادلا بإخائه بين الأنصار والمهاجرين وبما فرض من حقوق مشروعة للفقراء فى أموال الأغنياء، وبدعوته إلى العمل وحضه عليه، حتى يأخذ الفقير حقه الكامل فى الحياة مع مرور الأيام، وبتقسيمه العادل للميراث بين أولى الأرحام، وبغير ذلك من أسباب التمكين للفقير والمسكين والمحروم. ونهى عن كنز المال دون أداء حقوقه، وكره الاستكثار منه والتكالب على جمعه، حتى قال رسول الله صلوات الله عليه لبلال: (الق الله فقيرا ولا تلقه غنيًا).

وحث على الجود والبذل والسخاء، وكان صلوات الله عليه كما وصفه على: أجود الناس كفا. وكما وصف فى حديث البخارى: (فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة). وتقول عائشة رضى الله عنها: "ما شبع

رسول الله ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا، ولو شئنا لشبعنا ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا" ودعا الناس إلى التعاون على دفع الضر عن الفقراء فقال:

(أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى). ونهى عن المحاباة فى كل شيء حتى فى اختيار الموظف فقال صلوات الله عليه: (من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا بمحاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله النار). كما نهى عن الخيانة فى الأموال العامة فقال: (من استعملناه على عمل ورزقناه فأخذ بعد ذلك فهو غلول). أى خيانة.

ولقد حبب محمد صلوات الله عليه الناس فى الكسب الحلال المشروع، ودعاهم إلى استنباط المجهول من وسائل الثروات وقال لهم: "أنتم أعلم بشئون دنياكم). وجعل بيت المال فى خدمة الناس والفقير من بينهم خاصة، ولم يكن لرسول الله بيت مال يضع فيه الأموال وإنما كان يضعها فى بيته وبيوت أصحابه، وكان الزبير بن العوام وجهيم بن الصلت يكتبان له أموال الصدقات، ومعيقب بن أبى فاطمة وكعب بن عمر يكتبان المغانم وكان حذيفة بن اليمان يكتب لرسول الله صلوات الله عليه خرص ثمر الحجاز. وكان يتخير ولاته وعماله ويقتصد فى رزقهم، فاستعمل عتاب بن أسيد الأموى واليا على مكة وجعل رزقه كل يوم درهما، وصالح صلوات الله عليه أهل فدك على نصف ثمارهم وصرفها على الفقراء. وكان بعمله الشريف ودعوته الكريمة يقوى بذور الرحمة والخير والتعاون والمودة والإخاء بين الناس، حتى يستطيع المسلمون التغلب على آثار الجدب الذى كان غالبا على جزيرة العرب.

وقد دعا صلوات الله عليه إلى اصطناع الأيادى عند الفقراء: أكثروا من معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادى فإن لهم دولة. قالوا: يا رسول الله وما دولتهم؟ قال: إذا كان يوم القيامة قيل لهم: انظروا من أطعمكم كسرة أو

سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة وجعل الرسول الأكرم فى كل معروف، وكل عمل، صدقة فقال:

(كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه وأهله كتب له به صدقة وما وقى الرجل به عرضه فهو له صدقة، والدال على الخير كفاعل الخير، والله يحب إغاثة اللهفان). ورفع الرسول صلوات الله عليه من منزلة الفقراء ولم يجعل المال أساسا للحكم على الأشخاص.

لقد استطاع رسول الله صلوات الله عليه أن يجعل الفقراء والأغنياء إخوانا متحابين متآخين متعاونين، وأن يقيم فى المجتمع الإسلامى روحا عادلة تؤمن بالمبادئ الروحية والمثل العليا وتجعلها أساسا من أسس الاقتصاد التعاونى الجماعى فى الدول الإسلامية الناشئة، استطاع بما بذره من بذور الخير فى الأرض أن يقضى على الفرقة والخصومة والجريمة والثورة والاضطراب والقلق بين الطبقات. وكانت أمنية محمد الكبرى من أهدافها تحرير الإنسان من الفقر والعوز والحاجة والخوف، وكفالة حريته وحقه فى الحياة الهانئة الكريمة، وهدم كل الصروح التى أقيمت ظلما وبهتانا بأيدى الإقطاعية والإقطاعيين الجائرين.

٧- الأمر بالشورى

كان صلوات الله عليه يستشير أصحابه ويأخذ برأيهم فى أحيان كثيرة كما رأينا فى غزوة بدر حيث استشار أصحابه فى مكان المعركة، وكما رأينا فى غزوة الخندق حيث أخذ برأى سلمان الفارسى فى حفـــر خنـــدق حـــول المدينة لإمكان الدفاع عنها.

الشورى فى الإسلام شريعة إسلامية يقول تعالى: والذين اســـتجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم[١] وقال تعالى: وشـــاورهم فـــى الأمر[٢].

ففى الآية الأولى يفهم أن الشورى لازمة فى كل الأمور وفى الآيـــة الثانية رفع الله من شأنها إذ جعلها فى المقام الثالث بعد الاستجابة إلى الـــرب وإقامة الصلاة. ومما يزيد فى قيمتها أنها كانت عنوانا للسورة بأكملها وتحمل ثناء من الله للمؤمنين الذين جعلوا أمرهم شورى بينهم. وكان الرســـول ﷺ وسلم أكثر العاملين بالشورى يلجأ إليها فى مختلف المسائل التى لم ينزل فيها وحى حتى أن أبا هريرة قال: "لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رســول الله ﷺ".

ولم يبخل عليه أصحابه برأيهم كلما تأكد لديهم أن الموضوع ليـــس مما نزل به الوحى أى ليس مما شرعه الله لعباده وتذكر لنا كتب السيرة عـدة مناسبات تخلى فيها الرسول الكريم عن رأيه الخاص مفضلاً عليه ما ذهـــب إليه أصحابه وبذلك ضرب لهم المثل على صدق مـــا قالـــه "لا خـــاب مـــن

[١] ٣٨ الشورى.

[٢] آل عمران ١٥٩

استشار" وإذا كانت الشورى واجبة الاتباع فى كل الأمور الهامة فهى بالنسبة لاختيار الحكام أوكد.

إن ما يشعر به الخلق من ضرورة التعاون على اكتساب معاشهم وضمان أمنهم وتحسين أوضاعهم الاجتماعية يفرض عليهم التسليم بوجود أمير يقودهم إلى ما فيه مصلحتهم الدينية والدنياوية وقد حث الرسول الأعظم على ضرورة اتخاذ هذا الأمير عندما قال: "إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم".

فإذا لزم على الثلاثة أن يؤمروا أحدهم عليهم فمن باب أولى وأحرى أن تتخذ الأمة لنفسها سلطانا، ومما يدل على أهمية هذا الأخير ما روى من "أن السلطان ظل الله فى الأرض" وهذا المعنى الأخير يفسر لنا ما ورد فى الآية: "يا أيها الذين أمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم". والتأكيد على الطاعة أمر ضرورى بالنسبة لقوم لم يألفوا الانقياد ولم ينجح أحد فى امتلاكهم، وليس الأمر خاصا بالعرب لأن ظاهرة التمرد والرفض كانت معروفة فى أغلب المجتمعات وفى أغلب العصور. فربط الإسلام الطاعة بالإيمان والتمسك بالشريعة كما بين ذلك أبو بكر عندما ولى الخلافة فى خطبته:

"أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم".

وربط جانب الدين بالدنيا كثير الورود على ألسنة كبار الصحابة من ذلك ما قاله على بن أبى طالب: "قدم رسول الله أبا بكر يصلى بالناس وأنا حاضر غير غائب وصحيح غير مريض ولو شاء أن يقدمنى لقدمنى فرضينا لدنيانا من رضيه الله ورسوله عليه السلام لديننا".

ومع أن أبا بكر الصديق قدمه الرسول ﷺ لإمامة المسلمين فإنه لم يتسلم مقاليد الخلافة إلا بعد مشاورات بين كبار الصحابة ومناقشات حادة أبدى فيها كل حزب مزايا مرشحه وتعرف الناس من خلالها على السياسة التى سيسلكها كل واحد منهم إذا ما تم انتخابه، فأعجبهم برنامج أبى بكر

والدى أعلن عنه للعموم عندما خطب فيهم للحصول على بيعتهم وهو هـــذا: "أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن أســـأت فقومونى: الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوى عندى حتى اخـذ الحق له إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا قوم ضربهم الله بـــالذل، ولا تشـــيع الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فـإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم".

٨- تهذيب الوجدان والشعور والعاطفة

كان صلوات الله عليه ذا وجدان رقيق، وشعور قوى حساس، وعاطفة سامية صادقة، وكان بذلك يعلم المسلمين أن يكونوا مثله، وجدانا مهذبا وشعورا يقظا، وعاطفة نبيلة وقلبا حيًا.

وفى الحديث الشريف: إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صدوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم[٣] - رواه مسلم.

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال:

سمعت رسول الله يقول: عليك بكثرة السجود فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة[٤] — رواه مسلم.

وكان رسول الله أكمل المؤمنين إيمانا وأحسنهم خلقا وأيقظهم ضميرا ووجدانًا وشعورا، كان خلقه القرآن كما تقول السيدة عائشة رضى الله عنها، ولقد بلغ من حسن الخلق ما لم يبلغه أحد وما لم يصل إليه إنسان.

وكان يرشد المسلمين إلى كل ما يهذب طباعهم ويرقق مشاعرهم ويسمو بوجدانهم وأحاسيسهم وعواطفهم إلى مرتبة الإنسانية.

وبحق قيل عنه: الإنسان الكامل ﷺ.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: دخلت على امرأة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندى شيئا غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبى علينا، فأخبرته، فقال: من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار.

---

[٣] ٦ رياض الصالحين للإمام النووى.

[٤] ٤٨ رياض الصالحين للإمام النووى.

إنسانية فى التعامل، وإنسانية فى القيادة، وإنسانية فى التربية والتعليم والتوجيه، ما بعدها إنسانية.

ربى رسول الله المسلمين الأولين علـــى الرحمـــة والخـــير والـــبر والمعروف والنجدة والشهامة، وعلى الإنسانية فى كل عمـــل، حتـــى مـــع الحيوان، فيقول صلوات الله عليه: دخلت امرأة النار فى هرة حبستها لا هـــى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض — رواه البخارى وغيره.

العطف على الطفل واليتيم والمســـكين والمريـــض وابـــن الســـبيل والضيف، وعلى كل ذى محنة وشدة، وعلى من انتابته الأحداث والكـــروب، فإنقاذه واجب، ومساعدته فريضة.

وفى الحديث الشريف:

من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربـــة مـــن كرب يوم القيامة. ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخـــرة، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد مـــا كـــان العبد فى عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة[٥] — رواه مسلم.

---

[٥] ٩٦ رياض الصالحين.

٩- تربية الضمير

كان صلوات الله عليه يقظ الضمير، يجيش فى صدره أدق المشاعر ويدق فى جوانحه تنبيهات ضميره.

كان يشعر بالمسئولية ويقوم بها على أكمل وجه، يحاسب نفسه على كل صغيرة وكبيرة، ويسجل عليها كل هفوة وكل شيء مهما صغر قدره، وكان يخاف الله ويخشاه حق خشيته ويتقيه حق تقواه، ويحرص كل الحرص على أن يكون كما أمره الله جل جلاله: طهارة نفس، ونزاهة صدر، ونقاء طوية وصفاء روح، وأن يكون سلاما وأمنا للناس.

لم يشعر فى يوم من الأيام بوخز الضمير، من أجل تقصير فى مسئولية أو تفريط فى أداء واجب، أو إهمال فى أداء حق.

وكان المسلمون الأول يقتدون به فى كل شيء فكانوا أمثالا عالية لغيرهم من المجتمعات البشرية.

كان صلوات الله عليه يقول لأصحابه: يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروا فإنى أتوب إليه فى اليوم مائة مرة. — رواه مسلم [١]

ويقول صلوات الله وسلامه عليه لابن عباس: احفظ الله تجده أمامك وتعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا [٢].

وكان يقول: اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى رواه مسلم [٣].

وكان صلوات الله عليه كما يروى عن عائشة يقوم من الليل حتى تنفطر قدماه فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال (ص): أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا — متفق عليه[٤].

---

[١] ٩ رياض الصالحين للإمام النووى.

[٢] ٣٣ رياض الصالحين.

[٣] ٣٦ رياض الصالحين.

[٤] ٤٦ رياض الصالحين.

١٠- القدوة الصالحة

كان رسول الله كما يقول الكتاب العزيز. لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد[١].

كان القدوة الحسنة العظيمة للمسلمين، قدوة فى أخلاقه، فى شمائله، فى حياته، فى سلوكه، فى أعماله، فى أداء الواجب وتحمل المسئولية، فى إيمانه وفى عمله وفى كل شيء، فى الصدق والمروءة والوفاء بالعهد وحفظ حقوق الناس، وفى العفة والطهارة والنزاهة والشرف، وفى قوة الضمير، وفى الاستماع إلى مشورة أصحابه، وفى كل جانب من جوانب الحياة.

وتعلم المسلمون من ذلك أن يكونوا القدوة الحسنة لمن عداهم حتى من المشركين، الذين لم يلبثوا أن دخلوا فى الإسلام حبا فى أخلاق المسلمين، وإعجابًا بما هم عليه من شمائل وأمانة وإنسانية.

ونتعلم من ذلك أن الأبوين يجب أن يكونا قدوة لأبنائهم وأطفالهم التزاما بالإيمان، وطاعة الله فى السر والعلن، واجتنابا للرذائل، وحرصا على الفضائل، وتركا للمعاصى، وحبا فى التقوى والبر والرحمة والصدق والنزاهة.

وأن المدرس يجب أن يكون بأخلاقه قدوة حسنة لتلاميذه.

والحاكم يجب أن يكون بعدله وأمانته وإنصافه ونزاهته قدوة للمحكوم والغنى بكرمه وعطائه وإحسانه يجب أن يكون قدوة الفقير.

والمجتمع كله يجب أن يكون القدوة الكريمة للفرد، ليسير على ما يسير عليه المجتمع من آداب وفضائل وسلوك وحسن معاملة وأمانة وشرف.

---

[١] ٦ الممتحنة.

١١- الإرشاد إلى قواعد السلوك

وكما كان (ص) يعلم الناس أمور دينهم ودنياهم، كان كذلك يرشدهم إلى قواعد السلوك وأصول الأخلاق، وعظمة الفضائل. وقصته مع العربي (الأقرع بن حابس) الذى دخل على الرسول وهو يقبل سبيطه فقال للرسول إن لى عشرة من الولد ما قبلت أحدا منهم قط فقال له الرسول من لا يرحم لا يرحم. فأرشده رسول الله إلى ضرورة الرحمة والحنان فى التعامل مع الأطفال وأن الرحمة من الإيمان. قصة معروفة.

وكان ﷺ يقول: خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى — رواه الترمذى.

وقد منح الله عز وجل نبيه (ص) عظمة ومهابة، وجعل لقوله من المحبة والقبول فى قلوب الناس مالا يحتاج معه إلى بيان.

يقول القاضى عياض فى كتاب "الشفاء" ألقى الله عز وجل على كلامه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له من المهابة والحلاوة، لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ولا بارت له حجة.

انظر كيف يخاطب أصحابه وهو يعلمهم، روى عن معاذ رضى الله عنه قال: قال رسول الله (ص): ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد.

وعرض أعرابى لرسول الله وهو فى سفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها، ثم قال: يا رسول الله أو يا محمد: أخبرنى بما يقربنى من الجنة وما يبعدنى من النار، فنظر النبى (ص) إلى أصحابه ثم قال: لقد وفـّق، أو لقد

هدى، قال: كيف قلت؟ فأعاد له فقال النبى (ص): تعبد الله لا تشرك به شــيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم — رواه مسلم.

كان الرسول يريد أن يكون الناس ملائكة تمشى علـــى الأرض، وأن يقفوا مع الحق والخير، وأن يتعاونوا على البر، وألا يشين أحد نفسه بكذبة أو خيانة. أو غدر أو استهتار، أو نكوص عن حق.

يقول صلوات الله عليه: إن الصدق يهدى إلى البر، وأن البر يـــهدى إلى الجنة[١] - متفق عليه.

ويقول: الصلاة نور، والصدقة برهان، والصـــبر ضيـــاء[٢] - رواه مسلم.

ويقول: اتق الله حيثما كنت، واتبع الحسنة السيئة تمحـــــها، وخـــالق الناس بخلق حسن - رواه الترمذى وقال: أنه حديث حسن.

ويقول صلوات الله عليه: من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرهـــا وأجر من عمل بها من بعده، ومن سنَّ فى الإسلام سنة ســـيئة كـــان عليـــه وزرها ووزر من عمل بها من بعده.

وفى الحديث الشريف: حق المسلم على المســـلم: الســـلام وعيـــادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة - متفق عليه[٣].

---

[١] ٢٩ رياض الصالحين.

[٢] ١٩ رياض الصالحين.

[٣] ٩٤ رياض الصالحين.

١٢ – الإسلام دين الإنسانية

إنه دين الأنبياء جميعًا جاء به نوح "وأمرت أن أكون من المسـلمين" ٧٢ يونس.

وجاء به إبراهيم - "ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسـلمة لك" (١٢٨ البقرة).

"إذ قال له ربه أسلم، قال أسلمت لله رب العالمين" (البقرة ١٣١).

ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب "يا بنى إن الله اصطفى لكم الديـن فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون" (١٣٢ البقرة).

ووصى به يعقوب بنيه - "إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعـدى؟ قـالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلـها واحـدا ونحـن لـه مسلمون" ١٣٢ البقرة.

وجاء به يوسف عليه السلام. قال تعالى: "رب قد آتيتنى من الملـك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليى فى الدنيـا والآخرة توفنى مسلمًا وألحقنى بالصالحين" (يوسف: ١٠١).

وجاء به موسى عليه السلام. قال تعالى: "وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين" (يونس: ٨٤).

وهو دين قوم موسى من بنى إسرائيل. قال تعالى: "وجاوزنا ببنـى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيًا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين" (يونـس: ٩٠).

وهو دين السحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام. قال تعالى: "وألقى السحرة ساجدين. قالوا آمنا برب العالمين. رب موسى وهارون. قال فرعون

آمنتم به قبل أن آذن لكم إنّ هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجــوا منــها أهلها فسوف تعلمون. لأقطعن أيديكم وأرجلكم مــن خــلاف ثــم لأصلبنكــم أجمعين. قالوا إنّا إلى ربنا منقلبون. وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لمــا جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفنا مسلمين" (الأعراف: ١٢٠ - ١٢٦).

وهو دين أنبياء بنى إسرائيل. قال تعالى: "إنا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونور يحكم بها النبيّون الذين أسلموا للذين هــادوا والربّــانيون والأحبــار" (المائدة: ٤٤).

وهو دين سليمان عليه السلام. قال تعالى: "إنه من سليمان وإنه بســم الله الرحمن الرحيم. ألا تعلوا على وأتونى مسلمين" (النمل: ٣٠، ٣١).

وهو دين بلقيس رضوان الله عليها. قال تعالى: "رب إنــى ظلمــت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين" (النمل: ٤٤).

وهو دين المسيح عليه السلام وحوارييه. قال تعالى: "فلمــا أحــسّ عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصــار الله آمنّا بالله واشهد بأنا مسلمون" (آل عمران: ٥٢) وقال تعالى: "وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون" (المــائدة: ١١١).

إن الإسلام دين عالمى، نزل لهداية العالم كافة، ولهدايــة الإنســانية قاطبة إنه دين البشرية قاطبة.

وهل بعد قوله تعالى فى كتابه الحكيم فى مطلع سورة الفرقان:

"تبــارك الذى نــزل الفرقــان على عبــده ليكون للعالمين نذيـرا" -١- الفرقان.

هل بعد ذلك، بعد قوله تعالى "للعالمين " دليل على عالمية الإســلام، وأنه دين أوحى الله به على رسوله محمد عليه السلام، ليدعو الإنسانية جمعاء إلى الإيمان به؟

القسم الثانى

حـــوار لا صـــراع

الإسلام دعوة للإنسان عامة

- ١ -

هل يمكن أن يتلاقى الإنسان فى كل مكان على الدعوة والتوحيد وإلى الإيمان، وإلى تقديس الرسالات، وإلى العمل من أجل القضاء على الشرك الذى لا يزال يعشش فى عقول الكثير من الناس فى أماكن مختلطة؟

هل يمكن أن يمد الإنسان الغربى يده إلى الإنسان المسلم فى حب وصفاء وسلام، وأن ينبذ التعصب والعداء الموروث للإسلام والمسلمين، ويطرح من ذهنه فكرة التصفية الروحية بل والجسدية للأقليات المسلمة فى العالم.

هذه دعوة للإنسان عامة، لكى يعيش فى ظلال أخوة إنسانية شاملة، وفى سلام وأمن وطمأنينة؟..

ياليتنا نرى ذلك فى القرن الحادى والعشرين ونحن على الأبواب.

١ - الغزو الفكرى

-١-

المسلم فى المجتمع الإسلامى المعاصر يجب أن يعى الحقائق التالية:

١- أن الأمم الإسلامية تقف أمام غزو فكرى عام وشامل، يقوم به أعداء الإسلام، لصرف المسلم عن دينه وعن تقاليده وأخلاقه وروحه وسلوكه لجعله شخصا آخر، شخصا أوربياً محضا، يتزيى بزيهم، وينهج نهجهم فى كل شيء.

٢- أن عداء الصليبية للإسلام يحملها على البذل السخىّ من أجل تأكيد هذا الغزو الفكرى.

٣- أن الجماعات المنحرفة إنما يغذيها المال الأوربى والأمريكى، من أجل تزييف الروح الإسلامية.

٤- أن الاستعمار الغربى - السياسى من قبل والاقتصادى من بعد للعالم الإسلامى هو الذى يغذى حركة الغزو الفكرى ويدعمها.

٥- أن العلمانية والماسونية والصهيونية والشيوعية وحركات الاستشراق والتبشير، كلها تعمل متكاتفة فى سبيل دعم هذا الغزو، عن طريق نشو هذه الحركات الضالة فى العالم الإسلامى، وفى العقل الإسلامى.

- ٢ -

الماسونية أحد أبواب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى، أو قل: إنها أهم الأبواب.

والماسونية منظمة يهودية صهيونية سرية إرهابية غامضة محكمة التنظيم، هدفها سيطرة اليهود على العالم، داعية إلى الإلحاد والإباحية. ويختارون أعضاءهم من الشخصيات المرموقة فى العالم، ومعنى الماسونية

البناعون الأحرار، وتجمعهم المحافل الماسونية التى تعمل فى سرية تامـــة[1] كأجيرة للحكومات الغربية فى التجسس والمخابرات العامة، وإذاعـــة ألـــوان الفساد فى الشرق، ومحاربة روح الدين فى الإنسان.

يقول ماسونى: من الواجب علينا نبذ التعاليم الدينية وطرح كل نفـــوذ دينى على أى صورة كان[2].

والجنس عند الماسونيين مفتوح الأبواب، يقول أحد كبارهم: أن العفة المطلقة مرذولة عند الماسونيين والماسونيات لأنها ضد ميل الطبيعة[3].

ونقرأ فى نشرة من نشرات الماسونية: لماذا يستر الإنسان عورتـــه، لماذا تخفى الواحدة جسدها؟ إن إظهار العورات واســـتعمالها هـــو الشـــكل (الأساسى) الذى كان منذ بدء الخليقة.

الماسونية تعمل عملها الدائب على:

-الكفر بالله، وتقويض الأديان، وبخاصة الإسلام.

-إباحة الجنس.

-هدم المبادئ الأخلاقية والدينية والفكرية ونشر الانحلال والإلحاد.

ألم أقل لكم إنها جرثومة فساد للإنسانية وفى النشـــرات الماســـونية: يجب ألا ننسى بأننا نحن أعداء الأديان، وغايتنا الأساسية هى: إبادة الدين من الوجود[4].

---

(1) الموسوعة الميسرة فى الأديان ص٤٤٩.

(2) الآداب الماسونية – دار الفكر العربى – بيروت – ١٩٦٦.

(3) مجلة الجندى المجهول – العدد ٣٠ – السنة العاشرة – ص٦٢ – وزارة الدفاع.

(4) أسرار الماسونية ص٢٩، ٣٠، ٣١ للجنرال جواد رفعت.

ويقول ماسونى آخر - كما جاء فى النشرة الماسونية المؤرخة ســـنة ١٢٨٢هـــ - ١٨٦٦م: "علينا نحن الماسونيين فقط أن نرقى فوق طبقات كل الأديان، بل نتحرر - أيضا - من كل اعتقاد بوجود إله أيا كان"(٥).

وقال آخر: "إن صرح الاستبداد الروحى قد سقط، وإن المتحرريـــن عن كل اعتقاد قد فازوا ظافرين، حتى إنه لم يبق الآن أحد يؤمن بالله وبخلود النفس غير البله والحمقى"(٦).

وفى المؤتمر المنعقد سنة ١٣١١هـــ - ١٨٩٤م بألمانيا: قـــام أحـــد خطباء الماسون، فقال: "ليس فى العالم سوى جوهر واحد، وذات واحدة، هى المادة، والإله الحيقيقى هو المادة"(٧).

وتحت عنوان (الماسونية والدين): كتب أحد مفكرى الإسلام يقـــول: "إن موقف الماسونية من الدين لا يختلف عن مواقف المادية منه، فالماســـونية تعمل على إشاعة المادية، وتدعو إلى حرب الأديـــان ومقاومتـــها بصـــورة عامة"(٨). كما حكى قول أحد الماسون فى مؤتمر الطلاب المنعقد فـــى ســـنة ١٢٨١ هـــ - ١٨٦٥م بمدينة "ليبزج": "يجب أن نعلنها حربا شـــعواء علـــى العدو الحقيقى للبشرية، الذى هو الدين، ويجب ألا ننسى نحـــن الماســـونيين أعداء للأديان، وعلينا ألا نألوا جهدا فى القضاء على مظاهرها"(٩).

ويضاف إلى ما سبق فى عقيدة الماسونيين: أنهم ينـــاصبون العـــداء للأنبياء - عليهم أفضل الصلاة والتسليم -ولهذا دعوا إلى كذبـــهم وســـقوطهم

---

(٥) فتحى يكن: "حركات ومذاهب" ص٥٩.

(٦) المصدر السابق، ص٦٠.

(٧) الجنرال جواد رفعت أتلخان: "أسرار الماسونية" ص٣٠، مطبعة الجاحظ، سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م بتصرف.

(٨) فتحى يكن: "حركات ومذاهب" ص: ٥.

(٩) فتحى يكن: "جركات ومذاهب" ص٥٠.

والطعن فيهم، قال أحد الماسون سنة ١٣١٩هـ - ١٩٠١م: "نحن الماسون يسرنا أن نشاهد سقوط الأنبياء الكذبة، فإن الماسونية قد أنشئت لتناصب الأديان العداء[١٠].

إن الماسونية والصهيونية والشيوعية والعلمانية وحركات الإلحاد والتبشير والاستشراق تقف كلها جبهة واحدة، تعمل فى خفاء، بخلاياها السرية والعلنية، لدعم هذا الغزو الفكرى للعالم الإسلامى، الذى يرزح تحت أعباء الضغط السياسى والاقتصادى والفكرى، من العالم الغربى، من أجل محاربة الإسلام الذى قالوا عنه بعد سقوط الشيوعية: إنه لم يبق أمامنا إلا الإسلام، ومن أجل محو الشخصية الإسلامية للإنسان المسلم.

-٣-

وجاءت العلمانية كذلك منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادى، لتعمل مع الماسونية جنبا إلى جنب فى هدم روح الدين، وفى توطيد دعائم الغزو الفكرى للعالم الإسلامى، وكانت بوادرها هذه الإرساليات التبشيرية الموفدة إلى الشرق العربى للسيطرة على مناهج المدارس الوطنية، وتغيير مناهجها فى دراسة القرآن والشريعة واللغات الأجنبية وكانت محاولات العلمانية كاسحة فى فرض القانون الوضعى بدل الشريعة الإسلامية[١١].

إن العلمانية تدعو إلى استبعاد الدين من مجالات الفكر والعلم والاقتصاد والتشريع والتربية والأدب والفن.

وزعماؤها يروجون لها بأنها سر التقدم الأوربى، وأنها لا تتعارض مع الإسلام، وأنها الأسلوب الوحيد لتحرير العلم من الدين.

---

[١٠] د. مبارك حسن حسين: *"التيارات الفكرية"* ص١٤٦.

[١١] *أصالة الفكر العربى الإسلامى ص٢٥ – ط – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.*

وفى الجعبة مذاهب أخرى تقف من الإســـلام موقــف الصـــراع لا الحوار.

وفى مقدمتها: الصهيونية، والشيوعية والإلحادية، وجماعات التبشير، وعملاء الغزو الفكرى وكلها تقف جبهة واحدة تعلن الحرب على الإســـلام، صراعا، لا حوارا وحربا لا سلما، وخصومة لا تآلفا وتعاونا.

والإسلام يعلن فى قوة أن سبيلى واضح، وعقيدتى أعلنها فـــى كــل وقت حوار لا صراع وتفاهم لا خصومة، وإخاء لا عنصريـــة ولا انتصـــار للعرق، والجنس أو المصلحة الذاتية.

التعاون فى سبيل نشر الحق والعدل والمحبة والثقة والصداقـــة بيـــن الناس.

والله غالب على أمره، وله الحول والطول والقوة والعز المتين.

القسم الثالث

الإنسان المسلم بين الأعاصير

ماذا يجب على الإنسان المسلم؟

١- التمسك بقيم الإسلام

التمسك بقيم الإسلام وتعاليمه ومبادئه ومنهجه هو للمسلم طريق الفوز والربح وكسب الدنيا والآخرة. إننا ندعو المسلم إلى أن يتدبر القرآن الكريم، وأحاديث الرسول العظيم الأمين وأن يعيش في ضوئهما وفي ظلالهما، وأن يتمسك بالأخلاق الكريمة، والآداب الفاضلة، وبقيم الإسلام الرفيعة وتشريعاته الحكيمة، وأوامره السامية، حتى يعيش فى سلام مع نفسه ومع ربه ومع الناس كافة، ومع أسرته وأقاربه وذوى رحمه بصفة خاصة، وحتى يكون أبناءه وزوجة أصدقاء له فى السر والعلن ولا يكونوا كمن ذكرهم الله عز وجل فى كتابه الحكيم:

"يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم". ١٤ التغابن

وصدق الله العظيم

٢- العمل على محاربة البطالة

وذلك حتى يكون كل واحد من أبناء الأمة عاملا ومنتجًا، يضيف إلى رصيد أمته رصيدا فى الخير، سواء فى مجال لصناعة أم الزراعة أم التجارة وغيرها.

إن محاربة البطالة فى المجتمع تجعل الناس يعيشون فى أمن وسلام ووئام وتقضى على الجرائم التى يدفع إليها العوز والحاجة والفقر، فتمّحى السرقات والاعتداء على أموال الناس، ويعيش الناس فى رخاء ونماء.

وأمامنا نمو آسيا، وهى الدول التى قضت على البطالة فى بلادها وبين أبنائها، وفتحت أبواب العمل واسعة أمام كل الناس، فأصبحت دولا غنية قوية باقتصادها يحسب لها حساب.

ومن قبيل محاربة البطالة وجوب محاربة التشرد والتسول، ووجوب القضاء على مشكلات اللقطاء والفقراء والأرامل واليتامى وسوى ذلك؛ ووجوب مساعدة الطبقات المحرومة على الحياة الكريمة، وعلى العمل الشريف، والقضاء على كل ما يحول دون الإنسان والعمل، من أجل أن يصبح قادرا على أن يقيم أمره، وأن ينهض بمسئولياته نحو نفسه وأسرته وأقاربه وذوى رحمه عامة.

٣- القيام بالمشروعات الاجتماعية النافعة

وهذه المشروعات تتمثل لنا فى العديد من الأمور:

١- تتمثل لنا فى تقرير المعاش لكل عاجز عن العمل أو عاطل لا يجد عملا، وفى تعميم ذلك ليشمل جميع طبقات الشعب من المحرومين والعاجزين.

٢- وتتمثل لنا فى العلاج المجانى لكل الفقراء من أبناء الشعب.

٣- وتتمثل لنا محاربة الغلاء بكل وسيلة حتى يستطيع الفقير أن يعيش، وأن يجد طلباته ميسرة بأقل الأثمان.

٤- وتتمثل لنا فى تهيئة المسكن الملائم لكل محتاج للمسكين.

٥- وتتمثل لنا فى تعميم التعليم المجانى فى المراحل الأولى من التعليم والمراحل المتوسطة.

٦- النهوض بكافة المشروعات التى تساعد على الإنتاج، وخلق الرفاهية والرخاء أمام الناس.

٧- وتتمثل لنا فى فتح الملاجئ ودور المسنين أمام المحتاجين إليها.

وتتمثل لنا فى العمل والنهوض بكافة المشروعات التى تساعد على الإنتاج وخلق الرفاهية والرخاء أمام الشعب.

٤ – تعوّد تحمل المسئولية

كان (ص) المثل الأعلى فى تحمل المسئولية وفى النهوض بـالواجب وفى أداء الأمانة ومع كل صاحب حق. وكان يرشد الناس إلى كل ذلك وإلـى الصبر على المكاره، وإلى الشكر فى النعمة، وإلى الإحسان فى القول والفعل والعمل.

يقول أبو هريرة:

جاء رجل إلى النبى، فقال: إنى مجهود فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء، ثم أرسل إلى أخـرى. فقالت: مثل ذلك، قلن كلهن مثل ذلك، فقال النبى (ص): من يضيـف هـذا الليلة؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقـال لامرأته: أكرمى ضيف رسول الله[١٢] - متفق عليه.

ولما أراد أبو طلحة الأنصارى أن يتصدق ببستان له كان يعجبه قال: يا رسول الله هو فى سبيل الله وللفقراء والمساكين، فقال عليه السلام: وجـب أجرك واقسمه فى أقاربك - رواه أبو داود فى باب الزكاة - صلة الرحـم[١٣] فأرشده إلى ما يفعله تحميلا له للمسئولية وللالتفات إلى واجبه نحو أقاربه.

إن تحمل المسئولية يحفز الإنسان إلى العمل والسعى فـى منـاكب الأرض من أجل الرزق وكسب المعاش، وإلى القيام بواجبه كاملا نحو نفسـه وأسرته وأقاربه ونحو جاره، ونحو اليتيم والمسكين والمريض وذى الحاجة.

---

[١٢] ١٩٦ رياض الصالحين.

[١٣] ص٧٢ – ٨٠.

٥- روح التكافل الاجتماعى بين الناس

والتكافل الاجتماعى فريضة على كل مسلم قادر.

فلا يصح أن يكون هناك غنى متخم من طعامه وشـــرابه وملذاتـــه، وفقير معدم لا يجد القوت الضرورى الذى يقيم به أوده، وحتـــى لا يعيــش المسلم عالة على الناس يتكفف أيديهم لتجود عليه بالطعام.

ولا يصح أن يكون هناك عاجز عن العمل يعيش فى حرمان، ويحيــا فى حرمان وبجواره غنى يملك القناطير المقنطرة من الذهب والفضــــة، ولا يبالى: أطعم من حوله أم جاعوا.

والله عز وجل علام الغيوب، وهو المحيط بكل شىء.

يجب أن يسعى الغنى من أجل أن يهيىء له فرصة عمل يكسب منــها قوته وقوت من فى رقبته من الأنفس.

فبالتكافل يسعد الغنى والفقير، ويسعى الصغـــير والكبـــير والقـــوى والضعيف إلى خلق الفرص المتاحة أمام كل الناس.

إن التكافل الاجتماعى فريضة وشريعة فى عنق كـــل مســـلم وكـــل مسلمة فى الأرض.

ونحن جميعا أول من يلبّى الدعاء، ويلبى النداء، ويقول: حى علـــى الفلاح.

وكان رسول الله يخلط الفقير بنفسه، يعطيه ما هو فى أمس الحاجـــة إليه من طعام أو شراب أو لباس، وكانت زوجاته مثله كرما وعطاء وجـــودا وبرا ورحمة، يبادرن إلى عمل الخير ما استطعن إلى ذلك سبيلا.

وكان صلوات الله عليه يرعى الطفل واليتيم والفقير والمسكين وابن السبيل والرقيق والمريض والعاجز، وفى كتاب الله العزيز: فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة، فك رقبة أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة[١٤].

الفرد فى الإسلام فى خدمة الجماعة والجماعة فى خدمة الفرد الجميع فى مجتمع واحد، ومن نسيج واحد، تجمعهم الأخوة فى الدين والإنسانية "إنما المؤمنون إخوة"[١٥].

وجعل رسول الله (ص) من تمام إيمان المرء أن يحب للناس ما يحب لنفسه فى كل شىء، فكما يحب أن يسلم من إيذاء أحد يجب أن يحب أن لا يؤذى أحدا، وكما يكره أن يعتدى عليه أحد يجب أن يكره أن يعتدى هو على أحد، يقول (ص): لا يؤمن أحدكم حتى يحب لغيره ما يحب لنفسه[١٦] - متفق عليه.

بل وكما يحب المسلم أن لا يخونه أحد وألا يكذب عليه إنسان يجب أن يحب أن يكون هو كذلك، بل وكما يحب أن لا يتعرض أحد بسوء لعرضه أو لماله كذلك يجب أن يحب ألا يتعرض لأحد بسوء فى ذلك وفى غيره، لأن المجتمع نسيج واحد، وأسرة واحدة، ويعمل الجميع لغاية واحدة وفى ظل تعاليم شريعة سماوية كاملة.

وكما يحب المسلم أن يعطف عليه الناس وهو مريض أو فى أزمة ومحنة وضائقة يجب أن يكون كذلك مع الناس.

---

[١٤] ١١ – ١٦ سورة البلد.

[١٥] ١٠ الحجرات.

[١٦] ٧٦ رياض الصالحين.

الفقير موضع عناية المجتمع كله فى الإسلام، بشتى أفراده وطبقاتـــه وطوائفه، فلا مكان للبخل والشح فى عمل الخير، ولا فضل للمال بدون بـــذل وصدقة وإحسان وزكوات.

ويقول الله عز وجل فى محكم كتابه:

واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانًا، وبـــذى القربـــى واليتامى والمساكين، والجار ذى القربى، والجار الجنب، والصاحب بـــالجنب وابن السبيل(١٧).

---

(١٧) ٣٦ سورة النساء.

٦- ثقافاتنا الأصيلة وحدها

الإنسان المسلم فى المجتمع المعاصر عليه أن يعى تمام الوعى أن ثقافته الأصيلة هى التى يجب أن يتسلح بها، وأن تكون عنده هى الأساس لأى بناء فكرى يتحدى الزمان والمكان، ويواجه الحياة فى القرن الجديد.

فهذه الثقافة العربية الإسلامية هى وحدها القادرة على بناء الإنسان روحيا وخلقيا واجتماعيا، وعلى صنع الحاضر والمستقبل للإنسان المسلم، وعلى مضاعفة قوة انتمائه لوطنه ومجتمعه بل وللإنسانية عامة، وعلى خلق فرص التجارة أمامه فى معايشة الحضارة العالمية بكل مذاهبها ومعتقداته بسلام ووئام.

ثقافتنا الأصيلة هى الحافزة لنا على تأسيس بنية قوية للمجتمع الثقافى بصفة خاصة، وللمجتمع العربى الإسلامى بوجه عام. إنها هى التى ستقودنا للعمل من أجل تبادل المعرفة بيننا وبين الحضارة الراهنة، والعمل الدائب لنشر السلام بين حضارة الشرق وحضارة الغرب.

وإذا كان المستقبل القريب يحمل لنا تحديات لابد من أن نستعد دائما لمواجهتها، بكل طاقاتنا الروحية والفكرية والثقافية، وبالتسلح بأصول تراثنا الإسلامى العربى، بكل أبعاده، لأن الثقافة ليست إبداعا فى الأدب وارتقاء بالفكر فحسب، بل هى شاملة للعلم والمعرفة ولفهم جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية وشتى الحقوق السياسية والإنسانية.

وثقافتنا وحدها قادرة على العمل من أجل احتفاظنا بشخصيتنا المستقلة العاملة على مسايرة التطورات العالمية المتلاحقة ليكون لنا دورنا الفعال الذى نشارك به العالم فى صنع الحياة.

أما الذين ينادون بأن الفكر الغربى يجب أن يكــون أســاس ثقافتنــا وهويتنا الفكرية، فهم جد مخطئين، لأنهم يتناسون الفروق الجوهريــة بيننــا وبين الغرب.

على أن مصطلح التنوير إنما يعبر عن مرحلة عصر النهضة، وهــو عصر معركة دارت فى أرض أخرى، ولأغراض ليست هــى التــى تمثــل أمامنا الآن فى أرض الواقع المعاش.

كما أن مصطلح المجتمع المدنى ما هو إلا وصف للسوق الرأسـمالية لا أكثر ولا أقل.

وهؤلاء التنويريون، ومثلــهم الحداثيــون، قــد أصبحــوا يؤمنــون بالغيبيات، التى كانوا يرفضونها من قبل، مثل إيمانهم بحتمية التقــدم، وبمــا يسمونه بتيار التاريخ .. وشأنهم فــى ذلــك شــأن العلمــانيين والمــاديين والوجوديين وكافة أصناف الملحدين المنكرين للدين ولرسالات السماء.

أيها المسلم: احتفظ بثقافتك الأصيلة، فهى وحدها الدواء لكل أمــراض المجتمعات المعاصرة.

١- احترام إنسانية الإنسان

احترام إنسانية الإنسان وكرامته وحقوقه فى الحياة، واحــترام مالـــه وعرضه ونفسه، كل ذلك ضرورة لا غنى عنها، ولا مندوحة منها.

وهو سر انتماء الإنسان لوطنه، وحبه له، وسعيه للعمل فـــى ســبيل نهضته وتقدمه.

احترام إنسانية الإنسان فريضة على كل مسلم، وشريعة فى عنق كل إنسان، وبه يشمل الأمة روح الحب والتعاون والإخاء.

٢ – العدل بين الناس

التزام العدل فى كل شىء، وفى كل عمل أساسى من أسس الإسلام الجوهرية، وما أجل قول الله عز وجل فى كتابه الحكيم: "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذ حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل، إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا" (٥٨ النساء)، وقوله عز وجل: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذى القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، يعظكم لعلكم تذكرون" (٩٠ النحل)

وبحق ما قيل: العدل أساس الملك، وما نهضت أمم الغرب وقويت إلا بالتزامها العدل المطلق فى كل شىء، وفى كل تصرف، وفى كل عمل، وفى شتى جوانب القضاء والحكم بين الناس.

المجتمع الإسلامى ملزم بالتزام العدل فى كل شىء: العدل فى القضاء، العدل فى الحكم بين الناس، الكبير والصغير والقوى والضعيف والفقير والغنى. الجميع على حد سواء فى ضرورة التزام العدل والعمل بشريعته فى محسوبية ولا وساطة ولا استثناء، ولا تفرقة بين الناس فى وجوب العدل بينهم على حد سواء.

الحاكم والمحكوم، الراعى والرعية، الإنسان العادى والإنسان الجالس على العرش، كلهم سواء فى المعاملة وفى التزام القانون، وفى الحرص على العدل، وفى السعى بين الناس بالحسنى، وفى كل جانب من جوانب الحياة.

٣- أداء الواجب

يجب أن يحرص المجتمع المسلم دائما وأبدا حرصـــا شــديدا علـــى تقديس أداء الواجب وأن لا يقصر المسلم فى أداء الواجب كذلك:

أ - نحو ربه بالطاعة والامتثال والإيمان والعمل بكتاب الله وشريعته.

ب- ونحو نفسه بتطهيرها من الرذائل وتحليتها بالفضائل. وأن يعيــش مـــن عرق يده، وأن يكافح فى الحياة ما وسعه العمل من أجل ذلك.

جـــ- ونحو أسرته، فيقوم بكل شئون زوجه وأولاده وأبويه ومن يسأل عنـــهم فى بشر وسعادة وعمل دائب.

د- ونحو مجتمعه، فيحرص على سعادته ورفاهيته وخدمته بكـــل مـــا فـــى طاقته، ويحرص على الأمانة والوفاء بالوعد والصدق مع الناس، ويحترم أنفسهم وأموالهم وأعراضهم احتراما تاما.

-ونحو وطنه، فيؤدى الواجب له نحوه بتفان وانتماء وحب له وعمل من أجل تقدمه ورخائه ونهضته.

و- ونحو الإنسانية كلها باحترام الغير، ومساعدة المحتاج، ومعاونة العــلجز، والعمل من أجل تقدم الإنسانية فى المجال العلمى والاقتصادى والاجتماعى فى شتى المجالات.

إن قيام كل فرد فى المجتمع الإسلامى بأداء ما عليه من واجبـــات، قبل أن يطالب بما له من حقوق، كفيل بتقدم المجتمع ونهضة الأمة، وســعادة الوطن ورخائه.

٤- التزام الأمانة والصدق والوفاء بالعهد

وهذه الثلاثة هى لب الإسلام وجوهر الإيمان، وهى مظهر العمل بدين الله وشريعته وكتابه الحكيم:

- الأمانة فى كل شىء، وفى كل عمل، وفى كل جانب من جوانب العمل، والأمانة فى العمل تدعو إلى تجويده وإتقانه وعدم الغش فيه، والأمانة فى البيع والشراء ضرورية لسلامة المجتمع من الأدواء والشرور، والأمانة فى طاعة الله تستلزم العمل بكتابه الحكيم وشريعته الخاتمة والصدق مع النفس ومع الغير، وفى كل عمل وفى كل قول، دليل على احترام الإنسان لنفسه ولربه ولدينه.

والوفاء بالوعد وبالعهد ضرورة إنسانية واجتماعية لا غنى عنها، وهو دليل على تحضر الإنسان، بل على تدينه، بل على احترامه لكرامة نفسه وكرامة غيره من الناس كافة.

٥- القيام بالمشروعات الاجتماعية النافعة

وهذه المشروعات تتمثل لنا فى العديد من الأمور:

١- فى تقدير المعاش لكل عاجز عن العمل أو عاطل لا يجد عملا، وفى تعميم ذلك حتى يشمل جميع طبقات الشعب من العاجزين والمحرومين.

٢- العلاج المجانى لكل الفقراء.

٣- التعليم المجانى حتى نهاية التعليم الثانوى.

٤- المواصلات الطفيفة الأجور.

٥- محاربة الغلاء.

٦- تهيئة المسكن الملائم بأقل ثمن.

٧- فتح الملاجئ ودور المسنين.

٨- القضاء على التشرد وحسم أمور أطفال الشوارع الضائعين.

٦- تقديس النفس والعرض والمال

وهذه الثلاثة أيضًا هى أقدس الأشياء فى الإسلام:

تعظيم النفس وحرمة الاعتداء عليها ووجوب المحافظة بكل الطاقة على كرامتها.

وتعظيم شأن العرض، فلا يقرب المسلم الزنا، ولا يأتى بالفاحشة، ولا يحل إلاما أحل الله، ولا يأتى امرأة إلا بحقها من الزواج الصحيح، والعقد الشريعى.

وتعظيم شأن المال، فلا يعتدى أحد على مال غيره بالزور والبهتان، ولا يحل لنفسه ما حرم الله من أموال الناس، ولا يقرب مالا ليس له فيه حق؛ فالله جل وعز مطلع وعالم بما فى الضمائر، ومحيط بكل شىء.

٧- التربية الروحية السامية

وكما كان الرسول صلوات الله عليه المثل الأعلى للمسلمين فى قـــوة الإيمان والخوف من الله، وفى كل جوانب صلتـــه بالخـــالق العظيـــم، كـــان المسلمون الأولون حريصين كل الحرص على التمسك بروح هـــذه التربيـــة النبوية السامية، فكانوا يراقبون الله فى السر والعلـــن، ويخشـــونه ويتقونـــه ويطيعونه عن رغبة وعمق يقين وصدق إيمان، وكانوا يلتزمون بكل ما أمـــر به الدين، وبما دعاهم إليه الرسول الأمين من واجبات ومسئولياته والتزامـــات وطاعات.

كان هذا الصفاء الروحى ينطلق من الإيمان بالله، ويصفو بالتجربـــة الشخصية فى محاولة التغلب على أسر الحدود، والخروج من ظلام المـــادة، والسمو إلى الكامل. فالمؤمن هو فى شوق دائم إلى الكمال والجمال والجلال. وأنه فى وجوده هذا وسط متحرك بين بداية متصلة يفيض الوجود عليـــها الله رب العالمين، وذلك مما عبر عنه القرآن فى تواصل الإنسان من لـــــدن آدم عليه السلام لما قال فإذا سويته ونفخت فيه من روحى[١٨] ثم فى بلوغه منتهاه وغايته، وهو العود إلى ربه (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعـــى إلـــى ربـــك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى[١٩].

ثم إن هذا الصفاء الروحى المرتبط بالتجربة لم يكن فـــى الإســـلام فوضى. وإنما هو مرتبط بالوحى، وكل خروج عن حدود الوحى هو البدعـــة والضلالة، كما بين ذلك الإمام أبو اسحاق الشاطبى فى كتابـــه "الاعتصـــام"

---

[١٨] ٢٩ الحجر.

[١٩] ٢٨ – ٣٠ الفجر.

وذلك لما عرف البدعة "طريقة فى الدين مخترعة تضل من يقصد بسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله سبحانه" ثم أنه كان يخصص كتابه كله وفاء لبيان هذه الحقيقة. وكما أن الصفاء الروحى بعد تقيده بالوحى ليس بعدا عن الحياة، وتركا للجد والسعى فيها، ولكنه يزداد شفافية بمقدار ما يطلع الإنسان. على قوانين الكون قال تعالى: (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا ثمرات مختلفا ألوانها، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه، كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء. إن الله عزيز غفور)[٢٠]. وبهذا كان الحس فى التفكير الإسلامى عاملا من عوامل تعميق جذور الإيمان فى القلب وسببا لزيادة صفاء الروح إشراقا، وكانت هذه الأمة أمة وسطا لأن الوفاء بمتطلبات الروح هى بجانب الرياضة الروحية تأمل وبحث، وتجربة حسية لاكتشاف سر الله فى الأكوان وفى الذات (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)[٢١].

وهى إنسانية من ناحية أخرى. ذلك أن المؤمن إذا ما أراد أن يستعين على تشتت نفسه، وتناقض دخيلته فإنه يستعين على ذلك بما علمه الله إياه فى ختام قرآنه. (قل أعوذ برب الناس، ملك الناس إله الناس) فهو لن يستطيع أن يمضى قدما فى تجربته الروحية إذا تخلى عن بمبدأ الوحدة الإنسانية فى اتصالها برب العالمين. ومن هنا ينعطف ختام القرآن رب الناس - على بدايته الحمد لله رب العالمين. ولن يكون جهده الروحى جهدا حقيقيا بالاعتبار ويترتب آثاره إذا اعتزل القول فى الكون قال تعالى: (فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب)[٢٢]. فمع النصب التوجه إلى الله.

---

[٢٠] فاطر ٢٧ و٢٨.

[٢١] فصلت ٥٣.

[٢٢] ٧، ٨ الانشراح (الشرح).

ومن تمام التربية الروحية التى أخذ الرسول الكريم صلوات الله عليه المسلمين بها حث القرآن والحديث النبوى المسلمين على العمل الصالح ولقد تكرر وصف العمل بالصالح فى القرآن أكثر من تسعين مرة، حثا عليه، وتنويها به، وتبشيرا بحسن الجزاء عليه. وإننا إذا ما تأملنا فى العبادة الأصلية فى الإسلام، أعنى الصلاة، فإننا نجدها تجمع بين الحضور الروحى والنشاط العملى وأنها ليست أملاً خالصًا ولا اهتزازات ولا رقصات وشطحات، ولا هى توترات عنيفة، ولكنها نشاط روحى فى تأمل فى أوضاع مختلفة (وقوموا لله قانتين) (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفاء رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) [٢٣] وكذلك الحج بما يصحبه من سفر وسعى وانتقال بين أماكن المناسك، ويكاد القرآن كلما ذكر الإيمان قرنه بالعمل الصالح. فالصفاء الروحى لا يتحقق إلا بالعمس الصالح، ولا يتحقق العمل الصالح إلا بالصفاء الروحى.

وفى الحديث الشريف المأثور عن رسول الله (ص) "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" وإذا كان القرآن قد دعا المؤمنين إلى السير فى الأرض أربع عشرة مرة فإنه قرن هذه الدعوة بالتأمل والاعتبار ثلاث عشرة مرة، والمرة الوحيدة التى أهمل فيها هذا العطف كانت فى ثنايا قصة سبأ. وفى هذا دليل آخر على دقة القرآن وأنه تنزيل من حكيم حميد، لأن الطاقة البشرية أعجز من أن يحضرها مثل هذه الدقائق، والقرآن ميز الإنسان من ناحية أخرى وكرمه وفضله على كثير من المخلوقات. ولذا هو يمنع منعا باتا أن تتسلط القوة لتكره الإنسان أو تحمله حملا على أى عمل سواء كان هذا الفعل حسنا أو قبيحا إيمانًا أو كفرًا، فالإكراه والقوة والخوف ثلاثى مفلول

---

[٢٣] سورة الفتح ٢٩.

فى البناء الإسلامى. ذلك أن عزة المؤمن والإنسان فى حريته فى الفعل والاعتقاد، وأنه يتحمل مسؤوليته كاملة بما ينتج عن أفعاله. وكل فعل هو يقاس بمقدار آثاره، فكلما كانت نتائجه الصالحة تمس أفرادا أكثر فى العائلة الإنسانية، كان العمل أوفر أجرًا وأعلى مقامًا فى سلم التقدير.

ولقد حرص رسول الله (ص) على أن لا يكره الطبيعة البشرية فى الإنسان على شىء، داعيا إلى تهذيب هذه الطبيعة ووقف هجومها، فالمسلم حين يدعو مولاه العلى الأعلى لن ينتزع من نفسه هو، ولا من نفوس الآخرين من الناس، الخصائص البشرية، ولن يحول الطبيعة الآدمية إلى ملائكية لأن فطرة هذا الدين تأبى عليه ذلك.

"فطرة الله التى فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون"(٢٤).

ومسايرة الإسلام للفطرة أنه يعطى الطاقة الحسية غذاءها ويمنح الطاقة الروحية مجال العمل والإبداع، أنه لا يفصل ظاهر الإنسان عن باطنه، ولا يميت غرائزه ليحيى أشواق روحه، لأن المنهج الذى رسمه، وأقام عليه أسسه التربوية، هو التوازن بين جميع طاقات الإنسان الجسمية والفكرية والروحية.

ولو تركت الفطرة البشرية على أصلها، ولم تفسد بفعل الأهواء الجامحة والنزعات المتطرفة، لما انحرفت عن عهد الله، ولا زاغت عن هداه ولا ضلت عن سبيله، لأن موجبات الهداية ممزوجة بكيان الإنسان منذ نشأته، ودلائل الحق تنبع من نفسه، ومن الكون حوله، فينطلق فى جو الحقائق الناصعة التى تتحرر بها العقول من الأوهام والتعطل، وتطهر بها القلوب من جوانب الانحراف، وضغوط الأهواء، قال تعالى فى حديث قدسى "إنى خلقت

---

(٢٤) الروم ٣٠.

عبادى حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم" (رواه مسلم).

وهل أصدق من فطرة يؤيدها العقل الواعى، وتزكيها البصيرة النيرة وإذا فسدت الفطرة فى الإنسان اختلت النسب فى نفسه، فلا يرى الحياة إلا من خلال جزئية واحدة من جزئياتها: من خلال الجنس أو الترف المادى أو الصراع الطبقى، أو التفسير المادى للتاريخ، أو النظرة الغيبية للوجود، أو الانعزالية فى أوحال الركود.

ومن المسلم به عند علماء التربية أن الحقيقة الأشمل، هى الحقيقة الأجمل، وأنه كلما اتسعت جوانب النظرة والفكرة وتناسقت، كان ذلك أقرب إليها، وكلما اختلت النظرة، وضاقت الفكرة أهمل جانب على حساب جانب آخر، وتلاشت الحقيقة بين المغالاة والجحود، ذلك أن رسالة الإسلام شاملة لا تفرق بين شؤون المعاش والمعاد، ولا تفصل بين العمل الدينى والعمل الدنياوى، وإذا طلبنا الدنيا فلا يطغى علينا حبها فتمتلكنا بدل أن نمتلكها، وتنحصر جهودنا كلها فى مآربها ومطالبها فلا نشبع ولا نقنع، ولا نصغى إلى نداء الروح فينا، ولا إلى صوت الضمير.

وإذا كان الجسد والروح على طرفى نقيض عند الفلاسفة الإغريق والخصومة بينهما هى المحور الأساسى الذى يقوم عليه فهم العقيدة المسيحية، فليس الأمر كذلك فى الإسلام، لأن نظرته إلى الإنسان متكاملة وهو لا يخالف طبيعة الحياة، فلا مكان عنده للرهبنة والانقطاع للعبادة واعتزال الحياة، وهو لا يزهد فى طيبات الدنيا، ولكنه لا يحب أن يكون الناس عبيد أنفسهم وشهواتهم، يعيشون للمتع وحدها، ويتهالكون على الملذات، ويتهاوون فى المحرمات، كرد فعل عنيف لما أصابهم من فقر وحرمان، فيحبسون فى سجن المادة وينحصرون فى مطالب الجسم، ودنيا الغرائز، فيفقدون العفاف والقصد.

وقد وصف رسول الله ﷺ قوماً أصيبوا بالتطرف المـــادى فـــاعتلوا فقال: "إن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم فضعفت قلوبـــهم وجمحـــت شهواتهم" (رواه البخارى).

كما نهى آخرين تعالوا فى الجانب الروحى، فعزموا ألا يأكلوا اللحـــم وعزم آخرون على لا يتزوجوا وقال البعض: لا أنام على فراش، فبلغ ذلـــك النبى ﷺ فقال: "ما بال الأقوام يقول أحدهم كذا وكذا .. ولكنى أصوم وأفطر وأنام وأقوم، وأكل اللحم، وأتزوج النساء هذه سنتى فمن رغب عـــن ســـنتى فليس منى" (روه الصحيحان).



القسم الرابع

حقـــائق من التاريخ



المسلم هو النموذج الأكمل للإنسان

(١)

آمنت بالله! ..

آمنت بالإسلام!..

آمنت بالقرآن!..

آمنت بأن الله الذى أنزل المعجزة على رسوله: محمد بن عبـــد الله، هو الذى صنع المعجزات الكبرى فى تاريخ الإسلام!..

لو أن إنسانا جاء ليقول لنا اليوم:

إن أمة مسلمة فقيرة قليلة العدد؛ لا تعــرف التقــدم الحضــارى ولا التكنولوجيا الحديثة، وليس فيها صناعات، ولم تتأصل فيها التقاليد العسكرية، وليست عندها جيوش حربية متطورة، كالأردن مثلا، وقفت أمام أعظم دولــة معاصرة كأمريكا وهزمتها، ووقفت أمـــام قــوة عالميــة كــبرى كروســيا ودمرتها..

لما صدّقناه!.. ولقلنا: إن ذلك خرافة، مـــا بعدهـــا مـــن خرافـــة!.. وأسطورة من نسج الخيال وحده!..

فلو حدث ذلك لكان معجزة من الله، وعملا خارقًا من نسج السماء.

ولقد حدث ذلك فى التاريخ، بعد نزول الرسالة بقليل:

ففى خلال ما لا يزيد عن أربعين عاما من بدء نزول الوحى علـــى: محمد بن عبد الله فى غار حراء بمكة؛ كان الإسلام قد طوى - تحت سـنابكه - أعظم امبراطورية عرفها التاريخ؛ وهى الامبراطورية الفارسية، واســتولى على أملاك الامبراطورية الثانية وهى الامبراطورية الرومانيـــة الشـــرقية؛

ففتح مصر والشام وليبيا والمغرب كله، واجتاح سهول آسيا الصغرى، ووقف على أبواب العاصمة الرومانية: "بيزنطة" التى لم يبق لها إلا أجزاء قليلة فى أوربا على شاطئ البحر الأسود والبحر الأبيض.

ولقد كان إنبعاث الإسلام - على هذه الصورة الغريبة - عملا معجزًا، حطم كل الأقيسة التاريخية!.. كما يرى المؤرخ الانجليزى المعاصر "توينبى"، ووقف حياله العالم - منذ ذلك التاريخ، حتى اليوم - مبهوراً مذهولاً، لا يدرى: كيف حدث، ولا كيف كان؟!

فلقد أصبحت الدولة الإسلامية - بعد فتح العراق وفارس والشام ومصر وغيرها - وارثة للامبراطورية الساسانية، مثلما ورثت ملك الدولة الرومانية!.. ثم تحولت - بعد قليل - إلى امبراطورية عالمية كبرى، فاقت جميع الامبراطوريات العالمية القديمة: البارثية، السلوقية، الأخيمينية، البابلية الجديدة، الأكادية، الفارسية، الرومانية.

فما هى الأسباب التى ساعدت على قيام تلك المعجزة؟!

لا سبب أبدًا إلا الإسلام!.. وإلا القرآن!..

وإلا صنع المعجزة التى هى من صنع السماء!!

-٢-

آمنت بالله!..

آمنت بالإسلام!..

آمنت بالقرآن!..

لقد عاشت اللغة العربية لغة أمة فقيرة فى الجاهلية - وقبل ظهور الإسلام - لغة محدودة يتكلم بها عدد قليل من الناس!..

ونزل القرآن - وهو كتاب عربى مبين - يحمل الهداية والنور إلى الأرض، ويؤدى إلى الإنسانية والإنسان رسالة السماء: ورسالة الإسلام!..

ومرت بلغة القرآن الكريم سنوات وسنوات!..

وإذا هى اللغة العالمية الأولى: يتكلم بها الخليفة الأموى فى عاصمته دمشق، وتتكلم بها جيوشه وولاته من الصين إلى شاطئ المحيط الأطلســـى، ويتعلمها أكثر سكان العالم، ويقبلون عليها، ويتخذونها لغة جديدة لهم، وتصبح هى اللغة الرسمية لجميع شعوب العالم الإسلامى!..

ويترك الكثير من الشعوب لغتهم الأصلية، لأنهم اختاروا مكانها اللغة العربية!..

وتموت بعض هذه اللغات القديمة، وتبقى بعضها بين الموت والحياة، وتحدث ظاهرة فذة جديدة. فى تاريخ اللغات؛ لم تحدث - من قبل - لأية لغــة أخرى، ولا يمكن أن يحدث مثلها للغة من اللغات إلا بعــــد مـــرور أجيـــال وقرون، وأحقاب ودهور، وأعمار وعصور..

فماذا حدث؟ وكيف حدث ذلك؟

إنها معجزة للغة القرآن! معجزة من الله!..

لا سبب ترجع إليه: إلا الإسلام وحده!...

وإلا القرآن الكريم: كتاب الإسلام الخالد،

ووحى الله المبين. المنزل من السماء،

على خاتم المرسلين: محمد بن عبد الله،

صلى الله عليه وآله وسلم.

-٣-

آمنت بالله!..

آمنت بالإسلام!..

آمنت بالقرآن!..

لقد عاش العرب أجيالا مديدة فى الجاهلية أمـــة بدويـــة، ومجتمعًـــا صحراويًّا لا يعرف للحضارة معنى!.. وظل كذلـــك قبيـــل وبعيـــد ظـــهور الإسلام!..

وإذا هذا المجتمع البدوى الأمي: تقوم فيه ثقافة من أعظم الثقافـــات، فتنشأ فيه البحوث والعلوم والمعارف، وتقـــوم فيـــه الجوامـــع والجامعـــات، والمدارس والمكتبات، وحلقات العلم!.. وينتقل من مرحلة البداوة إلى مرحلـــة الحضارة، فى أمد محدود وزمن معدود!..

ومن شأن مثل هذا الانتقال أن يحتاج إلى قرون وأجيـــال؛ ولكنـــه حدث فى أمد لا يمكن لخيال شاعر أن يتصوره؛ فقـــامت المـــدن الكـــبرى، والجامعات المثلى، فى كل مكان من أنحاء الوطن الإسلامى الكبير!.. وأبـــدع العلماء المسلمون إبداعًا علميًا لم يكن له نظـــير فـــى تـــاريخ الحضـــارات القديمة!.. وقامت الصناعة، وازدهرت التجارة، وتقدمت الزراعـــة، وشـــقّت الطرق، ونظّم البريد، وأنشئت الجيوش، وقـــامت المصـــانع، واســـتخرجت المعادن، واستغلت المناجم!.

وهكذا ازدهرت الحضارة بفضل الإسلام العظيم، والقرآن الحكيم!!

وحينما كان الناس فى عاصمة شارلمان - لا الناس كلـــهم، ولكـــن الامبراطور وحاشيته وحدهم - يتعلمون الحرف، ليعرفوا القراءة والكتابـــة، كان العلماء المسلمون يجلسون فى بيت الحكمة، فى بغداد، ليترجموا الثقافات العقلية القديمة من اللغات العالمية الكبرى البائدة، إلى اللغـــة العربيـــة: لغـــة الثقافة والحضارة، حينذاك.

وكانت البحار تموج بالسفن والأساطيل التجارية والحربية الإســـلامية المتفوقة، وكان التجار المسلمون يسيرون إلى كل مكان فى العالم، وكـــانت الأموال الغزيرة تتدفق على ميناء البصرة، وفى جيوب التجار من أهلها!..

وقد اشتهر البصريون بأسفارهم البحرية فى المحيط الـهندى، وفـى البحر الرومى: "الأبيض المتوسط" وفى الخليج العربى، وفى بحـر القلـزم، وفى غيرها من البحار؛ فازدادت حضارة البصرة، واتسع البصريـون فـى المال والتجارة، وأصبحت المدينة أكبر ما تكون عمرانا، وأكثر مـا تكـون ثراء!..

وفى خلافة بنى العباس، كان الخلفاء لا يولون عليها إلا أميرا مـن أمراء البيت العباسى.. وفى عام ١٧٦هـ دعا أميرها: جعفر بن سليمان ابن على، خليفة المسلمين: هارون الرشيد لزيارة البصرة؛ فقدم إليها.

ويصف الجاحظ[١] ما قدم إلى الرشيد من طعام!..

وحدّث عن مواكب الخليفة فى هذه المدينة وعن عظمتها ولا حرج!

ولما وليها محمد بن سليمان العباسى، أهدى إلـى الخـيزران: زوج الرشيد، مائة وصيفة، فى يد كل واحدة منهم جام من ذهب، وزنه ألف مثقال، مملوء مسكا[٢]!..

هذه هى مدينة البصرة وحضارتها!..

وحدّث ولا حرج، عن: بغداد ودمشق، والقاهرة، والقيروان، وقرطبة وفاس ومكناس، وعن جرجان والرى والرقة، وعن مكة والمدينة والطـائف، وعما بلغه المجتمع الإسلامى من حضارة سامقة؛ لم يعرف التاريخ لها مثيلا من قبل، ولا من بعد!..

فكيف كان ذلك؟! وكيف حدث مثل هذا التطور الحضارى الغريـب فى زمن معدود، وأمد محدود؟!

---

[١] ٧: ١٨٧ الحيوان – نشر الحلبى.

[٢] (١١٥، رسائل الجاحظ – نشر السندوبى).

لا سبب يفسره، إلا الإسلام وحده!.. وإلا القرآن معجزة الله الخالدة!.. وإلا صنيع السماء ومعجزتها الكبرى:

رسالة محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وآله وسلم!..

-٤-

آمنت بالله!..

آمنت بالإسلام!..

آمنت بالقرآن!..

لقد كان ما بين حصار المدينة فى غزوة الخندق، وبين معارك المسلمين فى الشام مع الروم؛ سنوات معدودات، مرّت خلالها أحداث وأحداث.

هذا كتاب من محمد بن عبد الله ورسوله، إلى كسرى امبراطور الدولة الفارسية:

"أدعوك بدعاية الإسلام، فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافّة".

وكسرى فى مجلسه، ورسول محمد بن عبد الله جالس فى المجلس، والكتاب يقرأ على مسامع الامبراطور العظيم، حين كان السفراء يوقّعون معاهدة سلام بين كسرى وهرقل: الامبراطور الرومانى المهيب!..

وإذا كسرى يغضب، ويمزق الكتاب، ويرمى به، لأنه رأى فيه اسم: محمد قبل اسمه:

(من محمد بن عبد الله إلى كسرى أبرويز عظيم فارس).

ويصيح قائلاً: "يكاتبنى بهذا!.. وهو عبدى!.."

ثم كتب لعامله على اليمن:

"ابعث إلى هذا الرجل الذى يزعم فى الحجاز أنه نبى".

وبلغ الرسول - صلوات الله عليه وسلامه - ما حدث؛ فرفع يديه إلى السماء، وقال: "اللهم مزّق ملكه، كما مزق كتابي"..

ومزق الله ملكه، وورثه المسلمون العرب في أقل من سنوات!..

وهذه جيوش المسلمين - في الشام - تسير من فتح إلى فتح، ومن نصر إلى نصر؛ وأمامها أضخم الفرق العسكرية الرومانية المدربة، وعليها قترة الهزيمة، وعار الخذلان!..

ويأسر الروم في معاركهم جنديًا عربيًا .. أهله في حزن عليه!..

ويعلم الخليفة: عمر بن الخطاب بالأمر، فيبعث إلى هرقل - الامبراطور الروماني - الذي يقود بنفسه المعارك ضد المسلمين، يبعث إليه برسالة، يقول له فيها:

"بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة على رسوله.

من عبد الله: عمر بن الخطاب، إلى هرقل ملك الروم:

أطلقوا الأسير المسلم: عبد الله بن حذافة، حين وصول كتابي هذا إليكم!..

فإن فعلتم، رجوت الله أن يهديكم الصراط المستقيم!..

وإن لم تفعلوا، فإنني أبعث إليكم رجالاً لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن الجهاد في سبيل الله.

ويقرأ هرقل الرسالة، ويرتعد فرقًا وخوفًا، ويأمر بإطلاق سراح الأسير، ويستقبله مكرما له، ويبعث معه بهدية ثمينة إلى عمر!..

وتتوالى الهزائم على جيش هرقل، ويغادر أرض الشام باكيًا حزينًا، إلى أنطاكية!..

ثم يأمر الامبراطور بعقد مجلس حربي أعلى .. وينعقد المجلس .. ويقبل هرقل على قواده، يقول لهم: ويلكم!..

أخبروني عن هؤلاء القوم، الذين يقاتلونكم:

أليسوا بشرا مثلكم؟

قالوا: بلى

قال: فأنتم أكثر، أم هم؟

قالوا: بل نحن أكثر منهم - أضعافا - في كل موطن!

قال: فما بالكم تهزمون؟!

فرد على الامبراطور أكبر قواده، وقال له:

أيها الملك: هزمنا!..

وانتصروا: من أجل أنهم يقومون الليل! .. ويصومون النهار!..

ويوفون بالعهد!..

ويأمرون بالمعروف!.. وينهون عن المنكر! .. ويتناصفون بينهم!..

ومن أجل أنا نشرب الخمر! .. ونزني! .. ونركب الحرام!..

وننقض العهد، ونغضب! .. ونظلم!.. ونأمر بالسخط!..

وننهى عما يرضى الله..! ونفسد في الأرض!..

***

كيف حدث ذلك، وكيف كان هذا التطور السياسي والدولي العجيـــب، لأمة الإسلام، ولدولة المسلمين، في زمن يسير؟

ليس هناك من سبب إلا الإسلام! .. وإلا القرآن!..

وإلا أن ما حدث كان معجزة من السماء، وأمرا من صنع الله سبحانه وتعالى: أحكم الحاكمين!..

- ٥ -

آمنت بالله!..

آمنت بالإسلام!..

آمنت بالقرآن!..

انظروا أيها الناس: يا ورثة الإسلام. يـــا أبنـــاء العـــرب الأوليـــن الفاتحين. انظروا إلى الدين: كيف بدأ؟ وإلى أى شىء آل أمره؟!

يروى عفيف بن قيس الكندى، فيقول:

"كنت - فى الجاهلية - عطّاراً!.. فقدمت مكة! .. فنزلت على العباس ابن عبد المطلب..

فبينما أنا جالس عنده، أنظر إلى الكعبة، وقد تحلقـــت الشـــمس فـــى السماء .. أقبل شاب كأن فى وجهه القمر، حتى رمى ببصره إلى الســـــماء، فنظر إلى الشمس ساعة!..

ثم أقبل حتى دنا من الكعبة، فصفّ قدميه حتى يصلى!..

فخرج على أثره فتى كأن وجهه صفيحة يمانية، فقام عن يمينه!..

فجاءت امرأة متلفّفة فى ثيابها، فقامت خلفهما!..

فأهوى الشاب راكعًا، فركعا معه!..

ثم أهوى إلى الأرض ساجدًا، فسجدا معه!..

فقلت للعباس: يا أبا الفضل: أمر عظيم!

فقال: أمر - والله - عظيم! .. أتدرى من هذا الشاب؟

قلت: لا.

قال: هذا ابن أخى: محمد بن عبد الله ..

أتدرى: من هذا الفتى؟

قلت: لا

قال: هذا ابن أخى علىّ بن أبى طالب.

أتدرى: من المرأة؟

قلت: لا.

قال: هذه ابنة خويلد: هذه خديجة زوج محمد هذا!..

وإن محمدًا هذا يذكر أن إلهه: إله السماء والأرض، أمره بهذا الدين.

فهو عليه كما ترى، ويزعم أنه نبى!..

وقد صدّقه على قوله: علىّ ابن عمه - هذا الفتى، وزوجه: خديجة - هذه المرأة ..

هذه هى أول صورة للإسلام، فى بدء أمره.

أما الصورة الثانية؛ فهى ما يرويه المؤرخ العربى الكبير: "أبو الفداء" - فى تاريخه - يصف عظمة خلافة الإسلام فى بغداد عام ٣٠٥، وسفراء قيصر الروم يدخلونها، حاملين رسالة من ملكهم؛ إلى الخليفة العباسى: المقتدر بالله!..

يقول أبو الفداء، فى وصف الموكب الرسمى، الذى ساروا فيه إلى قصر الخليفة، وما كان عليه القصر من عظمة:

"قدم رسل ملك الروم إلى بغداد، فلما استحضروا عبئت لهم العساكر، وصفت الدار - قصر الخلافة - بالأسلحة وأنواع الزينة!..

وكان العسكر المصفوفون - حينئذ - مائة ألف وستين ألفًا، ما بين راكب وواقف!..

ووقف الغلمان ذو الزينة الباهرة، والمناطق المحلاّة!..

ووقف الخدّام بذلك، وكانوا سبعة آلاف: أربعة آلاف خادم أبيض، وثلاثة آلاف خادم أسود!..

ووقف الحجّاب كذلك، وهم حينئذ سبعمائة حاجب بأعظم زينة!..

وزينت دار الخلافة؛ فكانت الستّور المعلقة عليها، ثمانية وثلاثين ألف ستر، منها اثنا عشر ألفًا وخمسمائة من الديباج المذهب!.

وكانت البسط اثنين وعشرين ألفا.!.

وكان هناك مائة سبع، مع مائة سبّاع!.

وكان من جملة الزينة شجرة من ذهب وفضة!..

وشاهد الرسل من العظمة ما يطول شرحه!..

وأحضروا بين يدى: المقتدر!.. وصار الوزير يبلغ كلامهم إلى الخليفة، ويرد الجواب عن الخليفة.."

سبحان الله! ماذا حدث؟ وكيف كان ذلك؟!

إنه الإسلام! .. إنه القرآن! .. إنها المعجزة من السماء!..

لاشىء! لا سبب!

لا أمر نعلل به هذه الظواهر الفذة فى تاريخ الإنسان والحضارة، إلا سببًا واحدًا: هو أن الإسلام والقرآن، وهذا الدين العظيم، خرج للناس طبقات جديدة من المسلمين: كانوا هم النموذج الأكمل للإنسان على ظهر الأرض!..

النموذج العظيم، الذى لم ير التاريخ له مثيلا!

النموذج الرفيع الذى بنى قواعد الدين والملك والثقافة والحضارة فى دولة الإسلام، وفى العالم كله على أسمى وأنبل وأظهر دعامة: من توحيد الله وعبادته، ومن فضائل الإنسان الخيرة النبيلة فى نفسه، ومن الإنسانية المهذبة المطهرة التى بنت للحياة منارة رفيعة كانت هى دولة الإسلام!.. وعقلاً حرًا كريمًا عظيمًا: كان هو المسلم!.. ووجدانًا حيًا يزخر بأسمى مشاعر الحق والعدل والإحسان، وهو: المجتمع الإسلامى الكبير، الذى كان أهلاً لخلافة الله فى الأرض؛ فورّثه الله ملك العالمين! .. وورثه الأرض ومن عليها!.. وورثه الآخرة ونعيمها!..

إنه الإنسان المسلم الذى جلس إلى مائدة القرآن!..

وتخلق بأخلاق القرآن! .. وتأدّب بآداب الإسلام!..

وكان رسوله: محمد - صلى الله عليه وسلم - خلقه القرآن!..

الإسلام .. والعصر

(١)

يتصور البعض أنه فى عصر الذرة والفضاء واقتحام الكواكب لم يعد هناك مكان للدين، ولا للشرائع والكتب السماوية المنزلة، وأن ذلك من أعظم تحديات العصر للإسلام. وكأن الإسلام فى تصورهم الباطل معاد للحضارة البشرية وللعقل الإنسانى الذى خلقه الله منزل القرآن وواهب العلم الذى حضت شرائع الله عليه، وفى مقدمتها شريعة الإسلام ديننا الخالد الصالح لكل زمان ومكان.

ونسى هؤلاء الواهمون أن العقيدة والشريعة فى الإسلام كل لا يتجزأ، وعنصران متفاعلان متكاملان بمثابة الروح والجسد، وأن الأخذ بهما معا فى نطاق من الاجتهاد والتجديد والابتكار والروح المبدعة الخلاقة والفكر المنير المتوثب، يقودنا ويقود العالم معنا إلى أرفع منازل الحضارة والإيمان.

بل نسى هؤلاء الواهمون أن الإسلام لم يقف فى يوم من الأيام موقفا معاديا للعلم، أو مناقضا للتطور والتجديد.

إن حضارة الغرب الراهنة اليوم لا ترهب مسلما مؤمنا بدينه وكتابه الخالد، بل إنها وليدة حضارة الإسلام بالأمس، وبحوث الجامعات الإسلامية القديمة التى كانت مبثوثة فى العالم الإسلامى، وفى صقلية والأندلس وفى كل مكان دخله المسلمون فنشروا فيه العلم والثقافة والمعرفة وكل مقومات الحضارة الأصيلة البانية، من حرية وعدالة وإخاء ومساواة والتزام بكافة حقوق الإنسان.

وليس فى الدنيا دين يحترم العقل، ويؤاخى العلم، ويصادق المعرفة، أكبر من الإسلام، الذى سيظل صديق العلم والحياة والإنسان والعقل اليوم وغدا وبعد غد، إلى أن تقوم الساعة .. والقرآن الكريم يقول لنا: سنريهم آياتنا فى الآفاق فى أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق، أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد" - ٥٣ فصلت.

الإسلام منهج فكرى وروحى للإنسانية جميعًا، وهو دين رسالته دائما التبشير بقيم إنسانية رفيعة ولم تستطع أية رسالة من الرسالات أو دعوة من الدعوات، أن تجاريه فى مثاليته وحيويته وبساطته، وفى عظمة أصوله ومبادئه، وفى دعوته للحرية والعدالة وحقوق الإنسان، وللعلم والتجديد وللمساواة والإخاء.

وإذا كانت دعامة الحضارة الغربية اليوم هى المنهج التجريبى الذى أخذ به روجر وفرنسيس بيكون، فإن هذا المنهج إسلامى محض، قرره الجاحظ والنظام والغزالى منهجا للفكر الإسلامى .. ويبنى (كانت) مذهبه فى الأخلاق على أن حسن النية هو الأساس الأول فى الأخلاق، ولعلنا نتذكر قول رسولنا الأكرم: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"، وقد دعا رسولنا إلى مثالية قوامها العلم والفلسفة العملية التى أثّلتْ للحضارة الإنسانية مجدها التليد. ولم يحصر الإسلام رسالته فى قوم دون قوم، بل ارتفع فوق حدود المكان والزمان والفرد والبيئة، ولم تكن الحضارة الإسلامية العالمية الشاملة إلا نتيجة من نتائج الفلسفة الإسلامية العملية. وإذا كان (روجر بيكون) فى كتابه "الأداة الجديدة" - الذى ألفه عام ١٦٢٠م - يقرر المنهج العلمى التجريبى، فإن القرآن الكريم يرسى دعائم هذا المنهج العلمى التجريبى، فإن القرآن الكريم يرسى دعائم هذا المنهج منذ أربعة عشر قرنا من الزمان: بما دعا إليه من التفكير والتأمل وترك الأوهام والتقليد، وهذا المنهج القرآنى الرفيع هو الذى يجب أن ترتكز عليه ثقافة المسلم المعاصر

اليوم، حتى الفكر بالعقلية العلمية، فيواجه الحقائق، ويعنـــى بـــالجواهر دون العرض .. إن الإسلام يجعل قداسة العلم فى مضاهات قداسة العبادة، ويعتـبر العلم فى ذاته من أسمى العبادات.

يقول بريفولت: "إنه ليس ثمة ناحية من نواحى الازدهار الأوربى إلا ويمكن إرجاعها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعــــة" .. ويقـــول شاعر الإسلام محمد إقبال (١٨٧٣ - ١٩٣٨): إنك أيها المسلم حق فى العالم وحدك، وما عداك سراب خادع، ووهم باطل، و زائف .. ويقول فـــى بيــت شعر له: إن إيمان المسلم هو نقطة دائرة الحق، وكل ماعداه فى هذا العــــالم وهم ومجاز وطلسم. والمسلم عند إقبال هو مطلع فجر السعادة فـــى العـــالم، ومؤذن الفجر فى الليل البهيم، وقوة المؤمن الخارقة للعادة مستمدة من رسالته وإيمانه، وباندماجه فى إرادة الله يتحول إلى قوة خارقة قـــاهرة لا تصدهـــا الجبال، وإذا كان جسم المسلم من تراب فإن فطرته وروحه من نور، وهـــو يتخلّق بأخلاق القرآن كما كان رسول الله (ص) خلقه القرآن ..

-٢-

ولقد كان فلاسفة الإغريق يقولون: إن أصول الفضائل هى الحكمـــة والعفة والشجاعة والعدالة، وجاء أبو على مســـكويه (٤٢١هـــ - ١٠٣٠م) فقرر أن للنفس فضيلة أخرى هى أشبه بها وهى التشوق للعلم والمعرفـــة .. وكان من أعلام العلماء فى الإسلام من ينتمون إلى أصول وعناصر مختلفـــة الألوان والأجناس .. وأين هذا من قصة الطالب الزنجى "برس لى جوليـــان" الذى نال درجة أستاذ فى الكيمياء فرفضت جامعة هارفرد أن تعينـــه فيـــها معيدا بحجة أن الجامعة تخشى أن يأبى البيض أن يقبلوه معلما لهم، ورحم الله بلالا وسلمان الفارسى وابن سينا والبخارى وآلافا غيرهم من غير العرب.

ويقول "عبد الحليم محمود" شيخ الأزهر الأسبق: إن المسلمين بتخلفهم هذا فى العلم بسنن الله الكونية إنما ينحرفون عن الخط الإسلامى الصريح، وهذا المنهج الذى نهض بأوربا هو منهج إسلامى وضع المسلمون مبادئه، وأرسوا قواعده، وجاء الغربيون فتتلمذوا على المسلمين فيه وساروا على قواعده، فكانت الحضارة الأوربية التى أسس المنهج التجريبى فيها روجيه بيكون، يقول بريفولت فى كتابه "بناء الإنسانية": ليس لروجيه بيكون ولا لفرنسيس بيكون الذى جاء بعده الحق أن ينسب إليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبى فلم يكونا إلا تلامذة للعلم والمنهج الإسلاميين إلى أوربا، ولم يجدّ من دعوة معاصريهما من الأوربيين إلى تعلم العربية وعلوم العرب فهذا هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة.

ويقول أيضًا: ولم يكن العلم العربى وحده هو الذى أعاد إلى أوربا الحياة، بل إن مؤثرات كثيرة من الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوربية.

(٣)

إن الإسلام هو نظام الكون، والكون كله صائر إليه فى يوم من الأيام، ففلاح الإنسانية وصلاحها فى المستقبل فى أن تؤمن بالإسلام. وتكفر بكل ما اخترعت من النظريات الباطلة كما يقول المودودى.

ولقد ألف المفكر الأوربى "كولن ويلسون" كتابا نال شهرة واسعة، وعنوانه "اللامنتمى" تنبأ فيه بسقوط الحضارة المعاصرة، كما تنبأ بذلك قبله "شبنجلر" وفى القرآن الكريم: "حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت، وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس" - ٢٤ يونس.

ويؤكد كولن ويلسون أن الحضارة الراهنة هى سبب شقاء الإنسان المعاصر.. إنه يذهب إلى عدم الانتماء إلى أى مذهب من المذاهب، أى إلى

"مذهب الرفض" للحضارة الماثلة السائدة اليوم. وفى رأيه أنها سوف تنهار انهيارا كاملا بفعل الجنس والعبث والفساد والمجون الذى لا حد له، وفقدان حضارة الغرب للقيم الروحية أفسدها ويسير بها إلى الانهيار التام .. وكتب فون باين الألمانى فى مذكراته يقول: إننا على حافة هاوية، وذلك لأننا تعلقنا بالعلم، وظنناه كل شىء، حتى استعبدنا العلم، ولم تبق إلا بارقة أمل وحيدة فى النجاة وهى أن نؤمن أن هذا الكون له خالق وأن هذا الخالق قد وضع له سننا وقوانين، فإن سرنا على هدى من هذه السنن والقوانين سخّر لنا العلم، وسخر لنا الاختراع، ونجونا، ولم نسقط فى الهاوية.

وصدق الله العظيم فى قوله فى كتابه الحكيم فى سورة العصر: "والعصر إن الإنسان لفى خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر".

ولقد كتب أحد أساتذة السوربون كتاب بعنوان "المدنية الإسلامية" يؤكد فيه أن القوى المسيطرة على العالم هى قوى مادية صائرة حتما إلى الزوال، وأن القوة الأخرى التى لا يعرفها أصحابها حتى اليوم وهى القوة التى حاربناها طوال القرون الماضية، ومع ذلك بقيت لها مآذن منتشرة فى مشارق الأرض ومغاربها، هى الإسلام، الذى يهددنا جميعا، ويعلل هذا الباحث الزائف لماذا يعتبر الإسلام القوة التى تهددهم جميعا. ويصف كيف أن الإسلام يصنع الرجل المثالى.

ومن قبل كتب علماء الحملة الفرنسية على مصر التى صحبت نابليون يعللون لفشل الحملة فيقولون: إن جيوشنا قد اصطدمت بعقبة منيعة، اصطدمت بالعقيدة الإسلامية، وبقوم يؤمنون بأن من يقاتل إنما يقاتل فى سبيل الله وأنه إذا قتل فإنه يرث جنة عرضها السموات والأرض، وأنه لا سبيل إلى فتح بلاد المسلمين إلا بالقضاء على هذه العقيدة.

وليت هؤلاء المضلّلين أو المضلَّلين يعرفون أن الإسلام دين سلام ومحبة وتعاون بين الناس، وأنه لا يهدد أحدًا إلا المعتدين الذين يريدون القضاء على حرية المسلمين وحرية وطن الإسلام.

والله عز وجل يقول فى كتابه الحكيم: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا" - ١٣ الحجرات.

الإسلام لا يعرف العنصرية ولا العداوة لجنس أو لدين سماوى أو كتاب منزل، ولا يعرف استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، ولا يعرف الاستعمار ولا استعباد الأحرار.

إنه دين الآخاء والمودة والرحمة والمحبة والحرية، وحقوق الإنسان، ودين العدالة للناس جميعا، وللأمم والشعوب كافة.

دين يحاسب الحاكم كما يحاسب المحكوم، وينتصف للمظلوم من ظالمه، ويأخذ بحق الضعيف والأجير والعامل والمرأة والطفل والمريض والشيخ الهرم والمسكين والفقير واليتيم.

دين الله إلى الإنسانية وإلى الناس جميعا، وإلى البشرية كافة. وإلى الأمم والشعوب؛ دين يأخذ بيد الناس إلى الحق والعدل وإلى الرخاء والسعادة.

دين الله إلى كل العصور والأمم والبلاد والشعوب، وحسبك به دينا قيما ملة إبراهيم وشريعة محمد، وصديق أديان السماء جميعا.

وأخيرًا

أدعو الله عز وجل أن يهب المسلمين القوة والعزة والرخاء والرفاهية والسيادة فى الأرض.

وأدعوه أن يبصّر المسلمين بأمور دينهم ودنياهم، حتى يعيشوا فـــى نهضة وتقدم وعزة.

والإسلام الذى وضع الإنسان فى أعلى مكان، وأرفع منزلـــة، هـــو الذى سيدعم تقدم الإنسانية، وسعادة البشرية واستقامة الحياة علـــى طريـــق الخير والفلاح والشرف.

ونسأله عز وجل أن يهيئ لنا من أمرنا رشدا. والسلام على من اتبـع الهدى، وما توفيقى إلا بالله،

المؤلف

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

تم بحمد الله